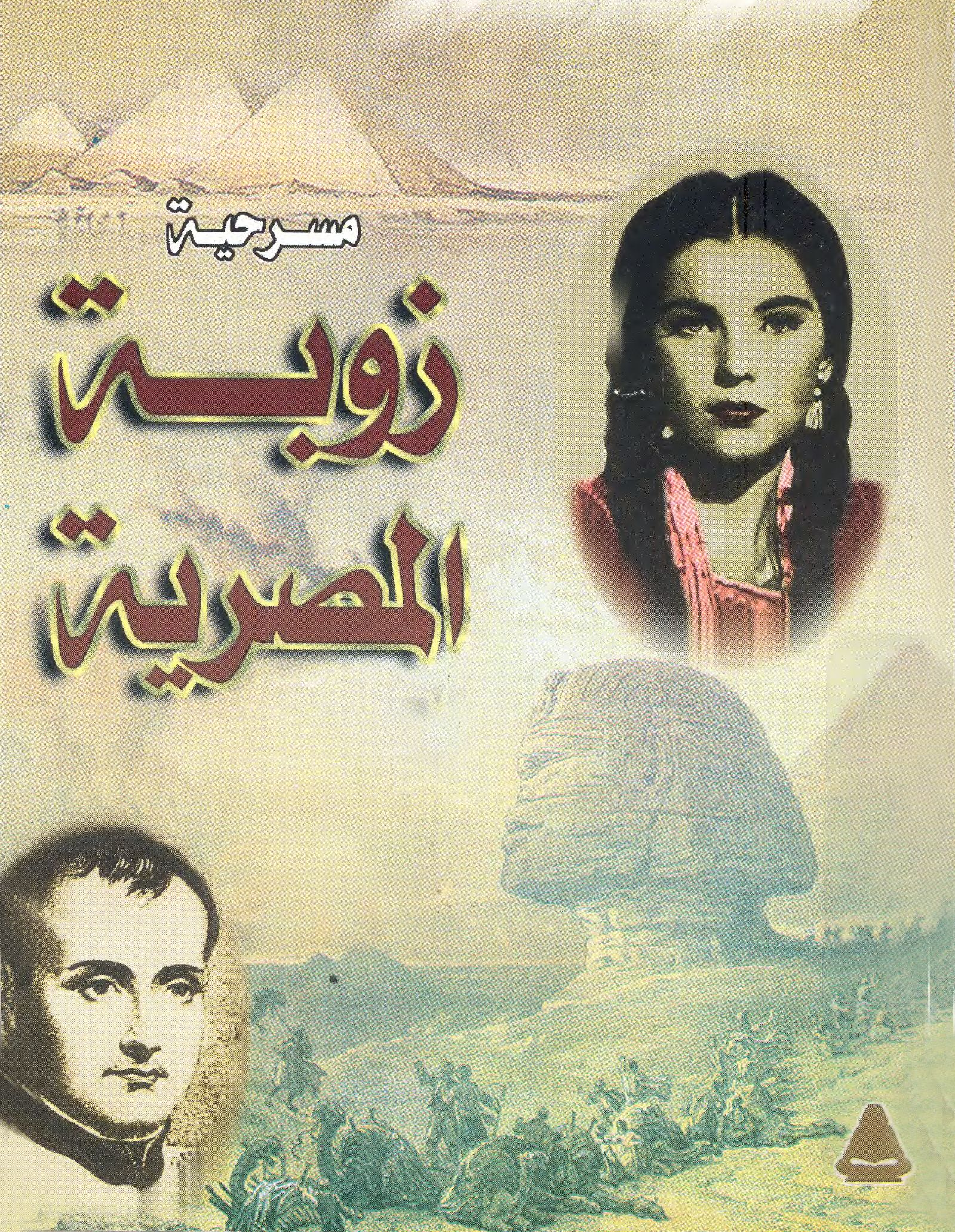
محمد أبو العلا السلاموني

مسرحية

زوبة المصرية



زوبة المصرية

مسرحية فى ثلاثة فصول

تاليف

محمد أبو العلا السلامونى



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٢م

تصميم الغلاف : صبرى عبد الواحد

الأخراج الفنى : أميمة على

تنفيذ :الجمع التصويرى

الكتابة للمسرح الجاد

ألفريد فرج

بعض الكتابات الأدبية ستبهت بمرور الأيام وبعض الأدب يبقى على الزمان، وهذا هو الأدب الجاد والجميل.

وقد انتقل الأدب العربى والمصرى بخاصة من فنون البلاغة اللغوية إلى فنون البلاغة المعمارية والموضوعية للأدب، وأخص بهذه الميزة الرفيعة الأنواع الأدبية الجديدة لأدب المسرح وأدب القصة والشعر الحديث، وهى الأنواع التى اطرد ازدهارها بأقلام أجيال المبدعين فى القرن العشرين، ومنهم صاحب هذه المسرحية الكاتب المبدع محمد أبو العلا السلامونى الذى أثرى المسرح بعديد من المسرحيات التاريخية والمسرحيات المستوحاة من التراث.

ويتميز مسرح السلاموني بجمال لغته الفصحى المسرحية، واللغة الفصحى المسرحية لغة لها خاصيات بعينها حيث إنها مسموعة كما هي لغة مقروءة، ومن حيث ملاءمتها للممثل واتساقها مع الشخصية المسرحية.

كما أن اللغة الفصحى على المسرح تكون دائماً أوفق كلما بلغت من الصفاء حد الشفافية، بحيث لاتحجب بزخارفها أو بزينتها معالم الشخصية الدرامية أو الحدث الدرامي أو تثقله بفضولها.

وهذه كلها ميزات تتمتع بها اللغة المسرحية للكاتب المسرحي الكبير محمد أبو العلا السلاموني.

والسلاموني له اختيارات فنية وموضوعية بديعة من صفحات التاريخ أو التراث، ومواقع إنسانية مثيرة يستلهمها، وتعتبر من أذكى الاختيارات المسرحية ومن أكثرها دلالة على ما نعانيه في حياتنا المعاصرة وفي حاضرنا وتياراته المتقاطعة.

ومن هذه الاختيارات والمواقع المثيرة موضوع هذه المسرحية البديعة التي وردت حكايتها في تاريخ الشيخ عبدالرحمن الجبرتي «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، وهي من أحداث القاهرة أثناء وفي أعقاب الحملة الفرنسية، وما أحدثته من صدام حضاري بين

الغرب والشرق، أقرب شيء إلى صدمة الثورة الفرنسية ذاتها التى أحدثتها فى أوروبا وفى فرنسا ذاتها بالعنف الدموى والحروب المتفجرة.

لعل مسرحية «زوبة المصرية» أن تكون قصة حب، أو حكاية دهشة وانبهار، ومأساة الفوارق الثقافية والهوة الواسعة بين تقاليد عالمين.

وربما كان الجبرتى قد روى القصة من زاوية نظر واحدة، ولكن السلامونى أحاط بالقصة وظروفها من كل الجوانب ليكشف لنا مساحة أوسع من المجال الذى اهتم به الجبرتى، ويحدد أبعاد المأساة الحضارية والإنسانية للحكاية الفردية التى أثارت الخواطر فى زمانها ثم طواها النسيان أو كاد حتى التقط السلامونى مغزاها العميق وأعاد بناءها للمسرح الحديث فى مسرحية شيقة رائعة.

يقال لنا أحيانا أن مسرحنا المعاصر يعانى من نقص أو ضعف فى النصوص المسرحية.

ويردد ذلك غالبًا من لاتضم مكتبته روائع الأدب المسرحى للقرن العشرين وما قبله منذ الكاتب العظيم «محمد عثمان جلال بك» إلى أحدث أجيالنا من الكتاب، أو من لايعرف قدر هذه الروائع، ومن بين هذه الروائع التى ستبقى على الزمان.. وستعرف قدرها المتجدد أجيال جديدة من المنتجين والمخرجين المثقفين والقارئين ، فضلاً عن

المشاهدين.. عديد من روائع مسرح محمد أبو العلا السلاموني الذى يزيد قدره عندنا بصبره على متاعب المسرح الكثيرة وبمواصلة إهداء المكتبة المسرحية العربية وريبرتوار المسرح العربى مسرحيات جيدة نابضة بالحيوية.

إهــداء

إلى المرأة الشرقية..

من قـدر لهـا أن تتـحـمل على عاتقها أكـبر رصـيد من الاستبداد الشرقى فى كافة مظاهره السياسيـة والاقتصادية والدينيـة والاجتـماعيـة والثقافية والتـى مازالت تعانـى من آثاره السلبية فى حياتها المعاصرة حتى الآن، ولربما فى المستقبل القريب.

شخصيات المسرحية

* **السيد البقلى**	من أعيان القاهرة
* **زوبة**	بنت السيد البقلى
* **رتيبة**	زوجة السيد البقلى
* **دلال**	دلالة مصرية
* **محروس**	من عامة المصريين
* **خنشع**	رئيس جوقة العميان والدراويش
* **نابليون بونابرت**	قائد الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨
* **جان فورييه**	ضابط فرنسى من الحملة
* **بولين (بليلوت)**	زوجة جان فورييه
* **بارتلمى**	من المستوطنين الأجانب بمصر
* **الوالى (الباشا)**	والى مصر من قبل الأتراك
* **القاضى**	من قبل الأتراك

* **جوقة الذكر** من العميان والدراويش
* **جوقة الزار** من النساء والجوارى
* **حـــراس وجنود وضباط فرنسيون**
* **جوارى وعبيد**
* **مماليك وأتراك**
* **مـــصـــريون من عامة الشعب**

(الفصل الأول)

المشهد الأول

(القاهرة المحروسة فى نهاية القرن الثامن عشر مع مجىء حملة نابليون بونابرت على مصر والشرق.

هرج ومرج وضجيج وعجيج وصراخ ونواح وطلقات مدافع وبنادق وبارود. إنه اليوم الأول الذى وصلت فيه قوات الغزو الفرنسى إلى مدينة القاهرة.

حالة الهلع والفزع والفوضى والهروب تنتاب جميع السكان فيما عدا «بارتلمى» الذى يقف خارج حانوته بلا مبالاة دون أن يبدو عليه الاهتمام وكأنه سعيد بما يحدث.

لحظة ثم يدخل محروس مندفعاً نحوه فى هلع شديد)

* * *

محروس: الحق يا معلم بارتلمي... كارثة كبرى يا معلم... عسكر بونابرت الإفرنج الكفرة وصلوا حتى أبواب القاهرة المحروسة..

بارتلمي: (ببرود) ماذا يتعين أن نفعله إذن يا محروس.. أنحاربهم بالشوم أو النبوت..؟

محروس: نهرب يا معلم .. فلنهرب مثل جميع الناس..

بارتلمي: ولماذا نهرب يا أحمق.. من يهرب يخشى أن يفقد شيئًا.. يفقد مالاً أو ولداً أو جارية أو زوجة.. لكنا لانملك شيئاً نفقده قط..

محروس: (متفكراً) لك حق.. لكن ماذا سنفعل عند وصول العسكر..؟

بارتلمي: اصبر حتى ينجلي الأمر وحينئذ نجد مجالاً للعمل وللرزق..

محروس: (مستنكراً) نعمل عند الإفرنج..؟

بارتلمي: افهمني يا محروس.. منذ أتيت إلى القاهرة المحروسة وأنا أجد مجالاً للعمل مع كل الأجناس .. الترك أو المماليك أو الإفرنج .. أو حتى مع الجن الأزرق..

محروس: لست كمثلك يا معلم بارتلمي... أنت غريب عنا وأنا من أهل القاهرة المحروسة..

بـارتـلـمـى: لكنك تعمل عندى...

مـحـروس: من أجل الرزق ولقمة خبز..

بـارتـلـمـى: وإذن ما المانع ان نعمل نحن الاثنان لدى جيش فرنسا القادم من أجل الرزق وكسب العيش..

مـحـروس: أو هذا معقول.. نعمل ماذا...؟

بـارتـلـمـى: نعمل فى حفظ الأمن.. أنا كرئيس للشرطة وأنت تساعدنى..

مـحـروس: (ضاحكا) شرطة .. أو تهزل يا معلم بارتلمى..؟

بـارتـلـمـى: هذا ليس بهزل.. أو لست ترى القاهرة المحروسة فى فوضى وهلع..

مـحـروس: لكن الشرطة ليست مهنتنا.. هى مهنة حكام القاهرة من الترك أو المماليك..

بـارتـلـمـى: ياللك من أحمق.. أو لست ترى حكام القاهرة من الترك أو المماليك يولون الأدبار.. حملوا ما خف من الأوزان وما غلى من الأثمان وفروا للشام.

مـحـروس: لكن يا معلم كيف سنعمل فى الشرطة؟

بـارتـلـمـى: لاتشغل بالك .. أنسيت بأن لدينا أردية مستعملة للشرطة للبيع هنا فى الحانوت..

مـحـروس: لا أفهم..

بـارتـلـمـى: اتبعنى وستعرف..

(يأخذه إلى داخل الحانوت ـ بعد لحظات يظهر الوالى التركى وهو يهرول وخلفه عدد من الحرس والعبيد والجوارى والغلمان وبصحبته السيد البقلى أحد أعيان القاهرة)

البـقـلى: يا مولانا الوالى.. لاتتركنا يا باشا أرجوك.. أين ستذهب بالله عليك؟

الـوالـى: للأستانة يا سيد بقلى.. سأعود إلى الباب العالى..

البـقـلى: يا باشا هذا ليس يصح.. أنت الوالى المسئول عن القاهرة المحروسة تتركها أنت وحاميتك وتولون الأدبار..؟

الـوالـى: ماذا أفعل يا سيد بقلى.. أبقى كى أقع أسيراً فى أيدى جيش الإفرنج الكفرة..

البـقـلى: واجبك مقاومة الجيش الغازى وحماية هذا البلد الموكول ولايته إليك..

الـوالـى: لا أقدر يا سيد بقلى.. كيف أحارب والحامية المسئولة هربت نحو الشام..؟

البـقـلى: هربت .. يالمصيبتنا الكبرى... الحامية المسئولة تهرب تاركة إيانا نحن السكان العزل.. فى رحمة جيش جاء

ليحتل مدينتنا المنكوبة..

الـــوالـــى: ماذا يبقيك إذن.. اهرب معنا يا سيد بقلى..

البـــقلى: ومدينتنا المسكينة... هل نتركها للجيش الغازى يا باشا..؟

الـــوالـــى: دافع عنها ان شئت.. أو ليست تلك مدينتكم؟ أنتم مصريون ولكنا أتراك.. ومن واجبكم هذا..

البـــقلى: الآن تقولون وتعترفون بأن البلدة بلدتنا والقاهرة مدينتنا.. أو تلك نهاية قصتكم معنا يا باشا..؟

الـــوالـــى: يا سيد بقلى.. دعك من الثرثرة الآن وهيا اهرب معنا.. احضر أثمن ما عندك .. أيضًا لاتنس حريمك وجواريك الحسناوات وإلا سوف يكونن سبايا جيش الإفرنج الفجرة.. الكل يقول بأن العسكر يغتصبون النسوة..

البـــقلى: (مهموماً) هذا هو ما يشغل بالى ويقلقنى يا باشا..

الـــوالـــى: ألديك جوار حسناوات يا سيد بقلى..؟

البـــقلى: بنتى زوبة هى ما أخشى يا باشا...

الـــوالـــى: حلوة يا سيد بقلى..؟

اليـــقلى: من أجمل فتيات المحروسة..

الـــوالـــى: وإذن لاشك سيسبيها جنود فرنسا الملاعين..

البقلى: هذا هو ما أخشاه.. ماذا أفعل ومدينتنا ليس بها من يحمينا من شر الجيش الغازى الملعون..

الوالى: هل تسمع رأيى يا سيد بقلى..؟

البقلى: قل يا باشا..

الوالى: زوجها لى.. وسآخذها ضمن حريمى كى يصبح عرضك فى أمن وسلام..

البقلى: يا باشا.. بنتى مازالت طفلة.. لم تبلغ سن الرشد.. وكذلك أنت لديك عديد من زوجات وجوارٍ لاحصر لهن..

(وهو يشير إلى الحريم والجوارى خلف الوالى)

الوالى: إنى أفعل هذا من أجلك وكذلك من أجل صغيرتك الحسناء..

(تحدث ضجة كبيرة ثم تسمع طلقات المدافع والبنادق تقترب أكثر فأكثر)

الوالى: (منزعجا) الإفرنج الكفرة وصلوا يا سيد بقلى.. هيا فلنهرب يا حضرات.. (يسرع الوالى بالخروج وهو يدفع أمامه بالجوارى والحريم يتبعه العبيد والغلمان والحراس)

البقلى: (فى خوف ورعب) لاحول ولاقوة إلابالله.. ماذا أفعل

يا رب.. كم أتمنى لو ماتت بنتى الآن.. بل أتمنى لو أنى مت أنا.. حتى لا أشهد عرضى يهتك أو شرفى يهدر.. لم لم تخلقها ولداً يا رب.. لكى تنقذنى من هذا العار وهذا الكرب..

(فى تلك اللحظة يدخل ضابط فرنسى هو الملازم جان فورييه ومعه زوجته بولين متنكرة فى زى جندى فرنسى)

جـــــــان: (مشهراً بندقيته فى وجه السيد البقلى) قف عندك لاتتحرك..

البـــقلى: (مذعوراً) استر يا رب..

جـــــــان: ارفع أيديك إلى أعلى.. أغمض عينيك.. ووجهك للحائط.. احذر أن تتحرك..

البـــقلى: (ينفذ أوامره صاغراً) أمرك يا سيد.. لن أتحرك.. أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله..

بـــولـــين: ماذا تنوى أن تفعل يا جان.. لاتقتله أرجوك..

جـــــــان: كلا يا حبى .. إنى أجعله يخفى عينيه لكى آخذ منك القبلة.. (يحاول أن يقبلها)

بـــولـــين: (وهى تهرب منه) عيب يا جان.. أو هذا وقته..؟

جـــــــان: هذا أنسب وقت يا بولين.. منذ رحلنا من ميناء فرنسا

وأنا لم أقربك.. حتى القبلة لم آخذها حتى الآن..

بـــولـــين: لاتكشفنا يا جان.. لو علم القائد بونابرت بأنى جئت بصحبتك وأنا متنكرة فى زى الجندى لسوف يعاقبك ويجعلنى أرحل لفرنسا من حيث أتيت.. وبذلك يحرمنى منك ومن قربك يا أغلى من أحببت..

جـــــان: لن يفعل ذلك.. أنسيت بأنى زوجك.. هذا حقى.. مع ذلك كل الضباط بحملتنا فعلوا مثلى واصطحبوا معهم زوجات وخليلات.. هيا يا حبى.. أنا لا أطلب إلا قبلة.. واحدة لا أكثر..

بـــولـــين: كلا.. سيرانا الناس يا جان.. لسنا بفرنسا..

جـــــان: الناس جميعًا هربوا يا بولين كما أنت ترين.. ليس هنالك إلا هذا الشيخ المرعوب.. ما رأيك ندخل هذا الحانوت..

(للسيد البقلى) اسمع يا هذا.. لاتتحرك أو تلتفت إلى الخلف..

البـــقـــلى: (صاغراً) أمرك يا سيد.. لن أفعل إلا ما تأمرنى به..

(جان يسحب بولين إلى داخل الحانوت ـ لحظات ويخرج بارتلمى ومحروس فى ملابس الشرطة الأتراك وهما يتسللان دون أن يراهما جان وبولين المشغولان

بالقبلات داخل الحانوت)

محروس: (مستنكراً) ما هذا يا معلم.. أقصد يا سيد بارتلمى.. ماذا يفعل هذان الجنديان..؟

بارتلمى: أخفض صوتك يا أحمق وإلا قاما بإطلاق النار علينا بالبندق..

محروس: إطلاق النار علينا... لم يا سيد بارتلمي.. أو لسنا الآن من الشرطة.. وعلينا أن نمنع هذا الفعل الفاحش..

بارتلمى: هذا شيء عادى يحدث بين الجند خصوصاً فى أوقات الحرب.. شيء للترفيه وللتسلية وما شابه..

محروس: لايا سيد بارتلمي.. أنا لاأقبل هذا الوضع.. أين النبوت أؤدب هذين الملعونين..

بارتلمى: أعقل يا أحمق.. إنهما من جيش فرنسا الغازى.. لانجرؤ أن نفعل شيئاً ضدهما.. اهدأ وتعال لنعرف من هذا الرجل الواقف ويداه إلى الحائط كالمصلوب..

(يقتربان من السيد البقلى)

محروس: أنت يا هذا.. ماذا تفعل عندك.. (وقد تحقق منه) من.. السيد بقلى..؟

بارتلمى: عجباً.. ماذا تفعل يا سيد بقلى..؟

البقلى: (مازال مرعوباً) هل هم ذهبوا..؟

محروس: تعنى من..؟

البقلى: العسكر من جيش فرنسا الإفرنج..

بارتلمى: لاتخش يا سيد بقلى.. إنهما عندى فى الحانوت..

البقلى: عندك فى الحانوت.. لم يا سيد بارتلمى..؟

بارتلمى: لاشيء.. بعض القبلات وممارسة الحب.. تسلية من بعد عناء الحرب..

البقلى: (مستنكراً) أعوذ بالله من غضب الله.. هذا والله دليل عن أن الساعة آتية لا ريب.. الطف بعبيدك يا رب.. إن كانوا قد فعلوا هذا الفحش وهما رجلان .. فماذا يحدث لو عثروا بجوارى وبنات مدينتنا.. ارحمنا يا رحمان وكن معنا فى محنتنا وأنقذنا من هذا العار.. استرها معنا يا رب.. (يسرع خارجاً)

محروس: لاحول ولاقوة إلا بالله.. الرجل أصابته لوثة..

بارتلمى: طبعًا يا محروس.. هذا الرجل لديه جوارٍ لاحصر لهن.. ويخاف عليهن من السبى..

محروس: بل يخشى من أجل ابنته زوبه.. أجمل فتيات المحروسة..

بارتلمى: هل تعرفها..؟

محروس: اسمع عنها..

بـارتـلـمـى: وإذن لن تسمع عنها بعد اليوم وسوف تراها..

مـحـروس: ماذا تعنى..؟

بـارتـلـمـى: الأيام القادمة مع الجيش الإفرنجى الغازى سوف يكون لها أثر ضخم فى كل نساء مدينتكم.. لن تسمع عنهن كما كنت لأنك سوف تشاهدهن بعينيك تمامًا من غير حجاب ونقاب مثل نساء الإفرنج..

مـحـروس: تعنى أن النسوة يتبرجن..

بـارتـلـمـى: أعنى يتحررن ويخرجن من السجن المفروض عليهن..

(يظهر جان وزوجته بولين خارجين من الحانوت)

جـان: (شاهراً بندقيته فى وجه بارتلمى) قف عندك لاتتحرك..

بـارتـلـمـى: لاتخش يا كابتن.. أنا لست عدواً..

جـان: من أنت.. جندى من جيش الترك أو المماليك..؟

بـارتـلـمـى: كلا يا كابتن.. أنا لست بتركى أو مملوك..

جـان: ما هذا الزى..؟

بـارتـلـمـى: هذا زى الشرطة.. وأنا معكم وسأدخل فى خدمتكم ومعى هذا الشرطى.. (يشير إلى محروس المرعوب) نحن صديقان لكم..

بولين: هذا شيء رائع يا جان.. الناس هنا ظرفاء.. الطيبة تبدو فيهم.. أو ليس كذلك..؟

بارتلمى: هو ذلك يا كابتن.. أنا رهن إشارتكم.. وإذا شئتم.. هذا حانوتى ملك إرادتكم.. لكما كل الحرية فيه.. بل أحرسه لكما حين تريدان اللحظات الممتعة الحلوة..هيا..

بولين: ما رأيك يا جان .. هذا رجل طيب.. جانتى..

بارتلمى: جانتى جداً يا كابتن.. وستسعدنى مصافحتك.. (يمد يده ليصافحه)

جان: (محذراً) قف عندك لاتتحرك.. ارفع أيديك إلى أعلى..

(لمحروس) أنت كذلك..

محروس: (يرفع يديه مستسلماً) ما هذا يا كابتن.. هل سببنا لك قلقًا لاسمح الله.. نحن تركناك وصاحبك ولم نفعل شيئًا.. مع ذلك خذ صاحبك لتفعل معه ما شئت ودعنا..

جان: كف عن الثرثرة وضع وجهك فى الحائط.. (لبارتلمى) أنت الآخر..

بارتلمى: أمرك يا كابتن.. هيا يا محروس ننفذ حتى لايغضب..

ولنترك لهما الفرصة ثانية..

محروس: أكثر من هذا..؟

(ينظران إلى الحائط وأيديهما إلى أعلى)

بولين: ما ذنبهما يا جان.. لم يبدر من أحدهما شيء نخشاه..

جان: لايجب بأن نثق بأحد يا بولين.. مازلنا فى ميدان الحرب..

محروس: (لبارتلمى هامساً) هذا الجندى الآخر أطيب من صاحبه..

أو ليس كذلك..؟

بارتلمى: هذا هو المفروض فى حالة هذين الجنديين.. لابد لأحدهما أن يصبح أطيب من صاحبه والآخر أشرس منه.. وكأنهما امرأة ورجل..

(تسمع أصوات نفير وطبول تقترب)

بولين: ما هذا يا جان..؟

جان: (مرتبكاً يبدو ركب القائد نابليون وصل..

(يقترب من بارتلمى ويهزه بفوهة بندقيته)

ما اسمك يا هذا..؟

بارتلمى: محسوبك بارتلمى.. (وهو يشير إلى محروس) وتابعه محروس..

جــــــــان: اسمعنى مسيو بارتلمى.. هل أطلب شيئاً منك..؟

بــارتــلــمــى: اطلب ما شئت يا كابتن.. ثق بى أرجوك..

جــــــــان: أطلب سكناً.. شقة.. حتى إن كانت حجرة.. نسكنها نحن الاثنان سيلفو بليه

بــارتــلــمــى: هذا أمر ميسور يا كابتن .. (يخرج مفتاحاً من جيبه) هذا هو مفتاح الشقة خلف الحانوت.. وإذا لم تعجبك.. آتيك بشقق أخرى إن شئت.. هه ما رأيك..؟

جــــــــان: (وهو يأخذ المفتاح سعيداً) مرسى مسيو بارتلمى.. ما رأيك يا بولين..؟

بــــولــــين: رائع يا جان.. رائع.. سيكون لنا بيت فى القاهرة المحروسة..

جــــــــان: وإذن لك هذا المفتاح.. وسألحق بك عند الليل..

بــــولــــين: (وهى تأخذ المفتاح) لاتتأخر يا جان.. أور فوار..

جــــــــان: (ملوحاً) أور فوار يا حبى..

(تخرج بولين وهى تلوح له)

مرسى مسيو بارتلمى.. مرسى جداً.. تلك الخدمة لن أنساها لك.. ماذا تطلب سيلفو بليه..؟

بــارتــلــمــى: أو هذا معقول يا كابتن.. هذا واجب.. ما أنت سوى ضيفى..

جــــــان: كـلا أرجـوك.. سنقيم هنا وقـتـا أطول مما تتصـور.. حملتنا جاءت لتحقق مستعمرة لفرنسا فى الشرق..

بـارتـلـمـى: واذن لا أطلب منك مقابل هذا إلا أمراً ميسوراً..

جــــــان: اطلب ما شئت..

بـارتـلـمـى: أن تتوسط لى عند القائد نابليون فيجعلنى مسئول الشرطة فى القاهرة المحروسة ومعى هذا التابع محروس.. وأنا سأكون لكم نعم الحارس والمسئول عن الأمن وتحقيق الراحة والمتعة لك ولكل جنود الحملة فى كل الأوقات..

جــــــان: أعدك أن أتوسط وأحقق طلبك مسيو بارتلمى.. واسمح لى أن أجعلك صديقاً لى يا أخلص من قابلت..

بـارتـلـمـى: هذا شرف لى يا كابتن أعتز به لاريب..

(يسلم عليه ويخرج جان)

مــحــروس: (مستنكراً) هل تقبل هذا اللوطى صديقاً لك..؟

بـارتـلـمـى: أقبله يا أحمق.. مادام سيتوسط كى أصبح مسئول الشرطة فى القاهرة المحروسة أجمعها..

مــحــروس: أتصدق أنك تصبح مسئولاً للشرطة حقاً..

بـارتـلـمـى: بل أكثر من هذا.. لو أطلب أن أصبح شيخاً للبلد أو الوالى سوف أكون..

محروس: تحلم يا سيد بارتلمى.. معذرة فى قولى هذا..

بارتلمى: كلا يا أحمق.. أنا لا أحلم.. فى بلد يهرب منه الوالى والشرطة والحامية وشيخ البلد وكل الأغوات وكل البكوات.. يصبح كل مناصبه رهن إرادة من يسعى للخدمة تحت ظلال الجيش الغازى والمحتل.. وهذا هوما نفعله الآن..

محروس: معنى هذا أن مدينتنا صارت دون حماية..؟

بارتلمى: بلدتكم يا محروس.. صارت كسبية حرب فى أيديهم.. تحت إرادتهم ورهينة رحمتهم..

محروس: استر يا رب..

(يقترب صوت النفير والطبول والموسيقى العسكرية ثم يدخل الجنرال نابليون بونابرت على حصانه وخلفه جنوده شاهرين البنادق والأعلام ويهتفون هتافات النصر، بينما بارتلمى ينحنى علامة الولاء فى حين أن محروس يقف مبهوتاً من فخامة المشهد)

إظلام

المشهد الثانى

(حرملك بيت السيد البقلى.. تظهر زوبة بنت السيد البقلى وهى فتاة جميلة فى السادسة عشرة من عمرها وحولها الجوارى يساعدنها فى اختيار بعض الأقمشة التى تعرضها دلال الدلالة)

زويـــــــه : (وهى تضع القماش على جسدها مستعرضة) ما رأيك فى هذا يا دلال.. أيناسبنى..؟

دلال : رائع يا سيدتى .. رائع.. (تقدم لها قطعة قماش أخرى) وهذا أيضاً.. ما رأيك؟

(تدخل الأم رتيبة)

رتيبة : ما هذا يا دلالة.. مازلت هنا يا حمقاء.. هيا لتعودى من حيث أتيت الآن.. هيا..

دلال : صبراً يا سيدتى.. مازال لدينا بعض الوقت..

رتيبة : ليس هنالك وقت.. لم يبق سوى لحظات لغروب الشمس.. هيا..

زوية : ما الأمر يا أماه..؟

رتيبة : العسكر يا زوية.. عسكر جيش الحملة مثل الغيلان.. لايتورع أى منهم عن خطف بنات البلدة والنسوان.. وخصوصاً حين يحل ظلام الليل..

دلال : (تضحك فى مزاح) يا ليت.. أتمنى لو خطفونى يا سيدتى .. حتى أشعر أنى امرأة يرغبها رجل أيا كان.. إنى امرأة دلالة يا سيدتى.. لاينظر أحد نحوى .. امرأة سيئة الحظ.. لامال لدى ولا حتى بعض جمال..

رتيبة : أنا لا أهزل يا دلالة.. مع ذلك أنا حذرتك..

(تخرج رتيبة)

زوية : أو حقاً يا دلال.. أو حقاً عسكر جيش الحملة كالغيلان.. هل هم حقاً همج ووحوش يغتصبون الناس رجالا ونساء..

دلال : من أخبرك بهذا التخريف يا سيدتى..

زويـــــــة: هذا ما حذرنى إياه أبى.. قال بأن الجندى من العسكر همجى لايتورع عن فعل الفحشاء مع الرجل أو المرأة دون حياء..

دلال : هذا ليس صحيحًا يا سيدتى.. هم ليسوا غيلانا أو همجاً.. هم خلق مثل بقية خلق الله..

زويـــــــة: ليسوا كوحوش بوجوه مرعبة يا دلال..؟

دلال : بل هم أجمل منا.. بشرتهم بيضاء.. وعيون زرقاء وخضراء.. وشعور صفراء.. وشفاه حمراء.. وملابسهم من كل الألوان.. الحق أقول.. هم أجمل منا بكثير..

زويـــــــة: وإذن هم بشر مثلى أو مثلك..

دلال : طبعاً يا سيدتى..

زويـــــــة: ما أمر الخطف إذن..؟

دلال : هذى شائعة لا أكثر يا سيدتى..

زويـــــــة: أو حقاً يا دلال.. هل أنت تقابلت بأحد منهم..؟

دلال : يوميًا يا سيدتى.. فى غدوى ورواحى وأنا أتقابل معهم وأحييهم وأبيع لهم.. لست أنا وحدى.. بل كل الناس.. حتى النسوة منا من لم تر أعينهن الأسواق انطلقت كالطوفان بغير حجاب ونقاب..

زوبيـــــــة: أو هذا معقول.. النسوة يتبرجن ويخرجن بدون حجاب ونقاب..

دلال : ليس هنالك محتسب تركي يمنعهن كما كان..

زوبيـــــــة: ما الأمر إذن.. لم تمنعنى أمى وأبى من أن أخرج أنا أيضاً..؟

دلال : الخشية والخوف عليك يا سيدتى..

زوبيـــــــة: ممه.. أو لست تقولين بأن جنود الحملة ليسوا غيلاناً أو همجاً ووحوشاً والنسوة يخرجن بلاخوف..؟

دلال : هو ذلك .. لكنى والحق أقول لديهم طبع مستهجن.. طبع مرذول..

زوبيـــــــة: ماذا تعنين..؟

دلال : حين يرى أحد العسكر منا امرأة يتعقبها بالغزل وكلمات الحب..

زوبيـــــــة: (مستنكرة) اخص عليهم..

دلال : آه يا سيدتى لو أنت سمعت كلاماً منهم حول الغزل وحول الحب.. يا لهوى يا لهوى.. شىء مدهش.. شىء مذهل.. شىء يجعل من يسمعه لايدرى إن كان يسير على قدمين.. أو كالطائر يسبح بجناحين.. يا لهوى يا لهوى.. دستور يا أسياد (تتشنج) دستور يا أسياد..

زويـــــــــة : وإذن هم ليس لديهم أخلاق فاضلة يا دلال..

دلال : كلا يا سيدتى.. هم أكثر خلقاً منا.. أتصدق سيدتى أنى لم أسمع منهم من يشتم سيدة أو بنتا أو يضربها أو يهزأ منها.. أتصدق سيدتى أن الرجل إذا قابل سيدة منهم يحنى الرأس يقبل يدها..

زويـــــــــة : (مشدوهة مما تسمع) غفرانك يا رب.. الرجل يقبل يد امرأة..؟ أهنالك رجل محترم يفعل ذلك.. ماذا حدث لكى يحنى الرجل الرأس أمام امرأة مهما كانت ويقبل يدها.. أو تلك علامات الساعة..؟

دلال : الأكثر من هذا يا سيدتى.. أن الرجل يسير مع المرأة فى السوق وفى كل مكان سافرة الوجه وحاسرة الرأس.. يفتح بيديه لها الباب لتدخل قبله.. بل يجلسها قبله.. فى حين بأن الرجل لدينا يا حسرتنا يشعر بالعار إذا ما سارت معه نسوته، بل يجعلهن يسرن إلى الخلف كطابور حمير أو أبقار..

زويـــــــــة : هذا والله عجيب وغريب.. أهناك نساء فى جيش الحملة..؟

دلال : طبعًا يا سيدتى.. ويقيمون لهن الحفلات اليومية فى التيفولى..

زويـــــــــة: حفلات فى التيفولى.. ما هذا التيفولى يا دلال..؟

دلال : صالة حفلات للسهر وللرقص وللتمثيل وللأكل وللشرب.. ولكل الأشياء الممتعة لدى الإفرنج..

زويـــــــــة: أو حقاً.. لكن أين مكان التيفولى هذا..؟

دلال : ليس بعيداً يا سيدتى.. فى بركة الأزبكية.. حفلات دائمة لاتنقطع طوال الليل .. فى إحدى المرات ذهبت إليهم أثناء الأكل.. كنت أكاد أموت من الجوع.. عزمونى فأكلت.. لا أدرى كيف نزلت على الأكل بيدى وأسنانى.. أتصدق سيدتى ماذا حدث هنالك لى..؟

زويـــــــــة: ماذا..؟

دلال : الكل توقف عن أن يأكل ليشاهدنى.. لم أفهم نظرات الدهشة فى أعينهم.. حتى جاءت سيدة منهم وأتت لى بالسكين ووضعته فى كفى الأيمن.. وبشىء آخر كالأسنان ووضعته فى كفى الأيسر كى أتناول بهما الأكل..

زويـــــــــة: هذا والله عجيب جد عجيب.. أو ليس لديهم أيدى وأصابع مثل أيادينا وأصابعنا للأكل..

دلال : طبعاً يا سيدتى لديهم.. لكن يبدو أن طبيعتهم ألا تتلوث

أيديهم وأصابعهم بالأكل .. وخصوصاً أيدى الستات..
أتصدق سيدتى أن أظافرهن ملونة باللون الأحمر ..
شىء رائع وبديع..

زوبـــــــة : (معجبة) حقًا يا دلال.. شىء رائع وبديع.. وماذا فعلت إذن..؟

دلال : لاشىء.. حاولت الأكل فلم أفلح.. بل إن الأكل تناثر فى كل الأنحاء.. ساعتها لم أملك إلا أن أترك مائدة الأكل برغم الجوع وأهرب منهم بين الضحكات الساخرة بلا رحمة..

(زوبة تضحك)

أو تضحك سيدتى.. أقسم أن السكينة والآلة ذات الأسنان.. من صنع الجان.. دستور يا أسياد.. (تتشنج) دستور يا أسياد..

زوبـــــــة : ما رأيك يا دلال.. أتمنى أن أحضر معك إلى هذا التيفولى..

دلال : ماذا..؟ أو لم تستمعى يا سيدتى تحذيرا من أبويك بألا تضعى قدمك خارج هذى الدار..؟

زوبـــــــة : ماذا نخشاه إذن.. مادام العسكر ونساء الحملة ليسوا غيلاناً أو همجاً كما أنت تقولين.. وإذن فالوضع أمان..

دلال : لن يسمح لك أحد بمغادرة الدار..

زوية : لن يعرف أحد بالأمر..

دلال : ماذا تعنى سيدتى..

زوية : نتنقب فى زى الخيمة حتى لايعرفنا أحد كالعادة..

(تأخذ من صرتها رداء وعباءة وترتديهما فلاتظهر منها إلا عيناها) ما رأيك..؟

دلال : (وهى ترتدى رداءها وعباءتها أيضًا وتبدوان كأنهما خيمتان متحركتان) أتصدق سيدتى.. لو شاهدنا عسكر جيش الحملة فى هذا الزى.. لقالوا إنا نحن الغيلان..

(تضحكان وهما تتسللان خارجتين)

إظلام

المشهد الثالث

(ملهى التيفولى بحديقة الأزبكية بالقاهرة الذى أنشأه نابليون إبان حملته على مصر والشرق. التيفولى ممتلئ بضباط الحملة ويصحبتهم عدد من الفرنسيات الجميلات والجميع يرقصون ويشربون ويغنون على أنغام الموسيقى الصاخبة. عدد من عامة الشعب يدخلون الملهى من باب حب الاستطلاع أو المشاركة فى اللهو. بارتلمى الذى نصبه الفرنسيون مسئولاً عن الشرطة يقف ومعه محروس وعدد من الأتباع يحملون البنادق. بارتلمى يلاحظ انصراف رجاله عن ممارسة أعمالهم لانبهارهم بمشاهد الرقص والغناء)

بــارتــلــمــى: (محذراً رجاله) ماذا تفعل يا شرطى الغبرة أنت وهذا وذاك.. يترك كل منكم مسئوليته ليبحلق مثل العامة والغوغاء..

مــحــروس: سامحنا يا مسيو بارتلمى.. هذا حفل لم نشهده من قبل..

بــارتــلــمــى: لم نأت هنا كى نتفرج يا أحمق.. واجبنا أن نحرس هذا الحفل من الغوغاء ومن أعين من يتطفل أو يخرج عن طوره..

مــحــروس: اعذرنا يا مسيو بارتلمى إن كان الواحد منا أيضاً قد يخرج عن طوره.. أنا لم أشهد من قبل نساء يرقصن وقد خاصرهن رجال.. هذا أمر أكبر من كل خيال.. ذاك محال..

بــارتــلــمــى: وإذن لاينفع أن تصبح شرطياً يا معتوه.. وإذا لم تضبط نفسك سوف أقوم بطردك فى الحال..

مــحــروس: بل أضبط نفسى يا مسيو بارتلمى.. ارحمنا يا رحمان.. (يخرج بارتلمى ورجاله من جانب لتفقد أحوال الحفل بينما تدخل زوبة ودلال من جانب آخر فى عباءتيهما ـ زوبة تكشف عن وجهها لنرى جمال عينيها وبعض خصلات شعرها الفاحم)

دلال : أرأيت يا سيدتى .. هذا هو ملهى التيفولى.. ما رأيك..؟

زويــــة : (مشدوهة بما ترى) ما أعجب هذا التيفولى يا دلال.. لكن هذا شىء ليس يليق وليس يصح وليس من الخلق الحسن بشىء..

دلال : ماذا تعنين يا سيدتى..؟

زويــــة : هذا الحادث ما بين رجال وستات الحملة.. هذا فحش وفسوق..

دلال : يا سيدتى.. ما يحدث ليس بفحش وفسوق.. هذا شىء رائع.. أو لست ترين الرجل وقد أمسك يد سيدة بالرقة والعطف.. هو يمسكها مثل الوردة كى يستنشق منها العطر..

زويــــة : وردة ماذا يا دلال.. هذى الحركات تثير الرغبة والشهوة بين المرأة والرجل بدون حياء..

دلال : يا سيدتى هذى الحركات تسمى الرقص.. الدانس..

زويــــة : هذا ليس برقص.. هذا فعل فاضح.. فعل ليس يليق برجل وامرأة محترمين..

دلال : مهلاً يا سيدتى.. هذا رقص محترم وبعيد عما هو فى ذهنك.. هذا شىء عادى عند الإفرنج.. لترى يا

سيدتى.. الواحد منهم يرقص مع واحدة ثم يغادرها ليراقص أخرى.. والنية خالصة صافية بيضاء بلا سوء..

زويـــــــة: كلا.. نيتهم ليست خالصة.. لست أصدق..

دلال : أنا أيضاً مثلك ما كنت أصدق.. لكنى أدركت أخيراً أن الرقص هنا شيء آخر.. أما إن كان لديهم سوء النية فعلا.. أو ليس الأجدر أن يستتروا بدلاً من هذا الرقص العلنى..

زويـــــــة: هذا هو فجر وفسق الإفرنج الكفرة.. أنا واثقة أن الله سيسخطهم كالقردة.. والليلة بالذات وليس الغد..

دلال : فلتعلم سيدتى.. أن الرقص هنا قد بدأ بهذا التيفولى منذ وصول الحملة.. أى منذ شهور.. يومياً هذا الرقص ولم يسخط أحد قرداً منهم حتى الآن..

زويـــــــة: أتقولين الرقص هنا يومياً منذ شهور..؟

دلال : بل من قبل مجيء الحملة للقاهرة المحروسة.. عادتهم وعوايدهم ببلاد الإفرنج وطول العمر..

زويـــــــة: (مذهولة) طول العمر ولم يسخط أحد منهم قرداً حتى الآن..؟

دلال : لم يسخط يا سيدتى.. أو لست ترين.. أترين هنالك قرداً

رجلاً كان أم امرأة فيهم..؟

زويـــــــة: بل هم من أجمل مخلوقات الله.. البشرة بيضاء.. والأعين زرقاء وخضراء .. وشعور صفراء وشفاه حمراء كما كنت تقولين.. هذا والله عجيب وغريب..

دلال : أرايت إذن يا سيدتى.. ما رأيك أن نرقص معهم..؟

زويـــــــة: (مفزوعة من الفكرة) أجننت يا بنت..؟

دلال : سامحك الله يا سيدتى..

زويـــــــة: (وكأنما تهرب من الموقف) هيا لنعود.. لاشك أبى يبحث عنى الآن..

دلال : أو لست تريدين مشاهدة السارى عسكر بونابرت..؟

زويـــــــة: عجباً.. هل يحضر قائدهم هذا الرقص المشبوه..

دلال : بل هو قائدهم فى الرقص..

زويـــــــة: ماذا .. هل يرقص مع زوجته هو الآخر..؟

دلال : كلا.. زوجته يقال هنالك بفرنسا..

زويـــــــة: تعنين بأن السارى عسكرهذا يرقص مع واحدة أخرى ليست إحدى زوجاته..؟

دلال : بل يرقص معهن جميعاً.. مع كل نساء الحملة..هذى هى عادتهم.. أو لم أخبرك..

زويـــــــة: كلا يا دلال.. إلا هذا .. قائدهم سلطان الحملة وكبير

العسكر يرقص بجنون.. رجل في مثل مقام وعمر السلطان لدينا يفعل هذا الفعل المجنون.. كلا.. هذا ينتقص كثيراً من هيبته أو شاربه أو لحيته البيضاء.. أو هذا معقول.؟

دلال : يا سيدتي.. ساري عسكرهم هذا ليس كمثل السلطان لدينا.. هو شاب وبدون الشارب واللحية.. هو فارس أحلام الفتيات لدى الإفرنج.. هو أجمل من صادفت من الشبان.. الحق أقول.. هو أشبه بفتاه فاتنة مثلك يا سيدتي.. وجه قمرى مثل البدر.. خصلة شعر تعلوه وتتلاعب مع نسمات وحركات الثغر..

زوبيـــــــة: أرأيت السارى عسكر هذا..؟

دلال : طبعاً.. هو يمشي وسط الناس يداعبهم ويلاطفهم.. ليس كحكام الترك أو المماليك لدينا.. من لانعرفهم إلا بسماع مظالمهم وضرائبهم.. حين ترين السارى عسكر ستقولين.. هو فارس أحلام الفتيات.. مع ذلك هو من دوخ جيش بريطانيا وإيطاليا والترك.. بل كل جيوش العالم..

زوبيـــــــة: ألهذا الحد..؟

دلال : بل أكثر من هذا.. هو جاء لكي يحكم كل بلاد الشرق..

(يظهر بارتلمى يتبعه محروس)

بـارتـلـمـى: (لدلال) ماذا أوقفك هنا يا غجرية أنت وصاحبتك..

دلال : قطع لسانك رجل مأفون.. أتقول بأنى غجرية..؟

مـحـروس: يا خبر اسوذ.. امرأة تشتم مسئول الشرطة فى القاهرة المحروسة..

دلال : ماذا..؟ مسئول الشرطة من .. بارتلمى بياع الأردية المستعملة وبياع قوارير وبرطمانات الموسكى أصبح مسئول الشرطة.. عشنا وشفنا..

مـحـروس: (مرتبكاً) يا لفضيحتنا.. الغجرية كشفتك أخيراً يا مسيو بارتلمى..

دلال : أنت الآخر تزعم أنى غجرية يا متعوس.. (تمسك به)

مـحـروس: (وهو يخلص نفسه منها) يا حرمة.. لايحضر حفلات التيفولى هذا ألا غجر وفواحش وأجانب.. أما أهل القاهرة فلا يجرؤ أن يحضر أحد منهم وخصوصا صنف النسوان .. هيا عودى من حيث أتيت.. هيا..

بـارتـلـمـى: دعها يا محروس.. (لدلال) كيف عرفت بأنى بارتلمى يا حرمة..

دلال : أو لاتعرفنى أنت كذلك يا معلم بارتلمى.. أو لاتتذكر دلال الدلالة من كانت تأتى لك بزبائن فى حانوتك

بالموسكى.. هذا الحانوت الأعرج لتبيع قوارير بصلدى أو نصف وربع الصلدى..

محروس: فضحتك الدلالة يا معلم..

بارتلمى: أغلق فمك الملعون.. وإذن لاشك بأنك دلالة سيد بقلى..

دلال : هو ذلك ومعى ابنته زوبه..

بارتلمى: (مهتماً) زوبة.. أجمل فتيات المحروسة.. أهلاً بك يا سيدتى .. لكنى أنصحك بعودتك بعيداً عن هذا التيفولى.. هو ليس يليق بسيدة محترمة .. هيا يا دلالة وخذى سيدتك لتعود إلى دار أبيها..

(يسمع نفير معبراً عن دخول نابليون فى عربة فخمة يجرها حصانان حيث يستقبله الجميع بالتحية والهتاف والانحناء)

الجميع: عاش نابليون.. عاش نابليون..

(يهبط نابليون من عربته على وقع الموسيقى الراقصة حيث تتقدم بولين فى أبهى زينتها لاستقباله وهو يقبل يدها بكل احترام)

نابليون: بليلوت المحبوبة.. يا أجمل فتيات الحملة.. أنشانتيه مون آمور..

بـــولـــين: أنشانتيه جنرال..

نـابلـيـــون: (وهو يراقصها على الموسيقى) معذرة إن كنت تأخرت على معشوقة قلبى الهائم بك.. لكنى أحمل لحبيبة قلبى مفاجأة كبرى..

بـــولـــين: يكفينى رؤية طلعتك الميمونة ولقاؤك يا جنرال..

نـابلـيـــون: بل إن مفاجأتى لك ألا يتأخر أحد منا عن صاحبه بعد الآن..

بـــولـــين: ماذا يعنى الجنرال..؟

نـابلـيـــون: أصدرت اليوم قراراً مخصوصًا لأرقى زوجك جان فورييه إلى رتبة كابتن..

بـــولـــين: أو حقاً يا جنرال..؟

نـابلـيـــون: أو تعرف بليلوت المحبوبة سبباً للترقية على هذا النحو.. ذلك أن الكابتن جان فورييه قد كسر أوامرنا الحربية حين أتى بك متنكرة فى زى الجندى إلى مصر .. (يضحك)

بـــولـــين: هذى سابقة فيما أعلم لم تحدث من قبل يا جنرال.. قائدنا الأعلى يمنح ترقية رجلا كسر أوامره بالعمد..

نـابلـيـــون: لو لم يكسرها ماكنت تعرفت عليك وما كنت هفوت إليك.. ما قيمة تعليمات وأوامر كانت تحرمنى منك..؟

بـــولـــين: مرسى جنرال.. ما أجمل أن أسمع هذا منك..

نـابلـيـــون: الأعظم من هذا وأهم.. هو أنى أبعـثـه برسـائل ذات الصفة السرية للوطن الأم..

بـــولـــين: ماذا..؟ (وقد فهمت) حتى يذهب دون رجوع..

نـابلـيـــون: بل يرجع لكن بعد شهور..

بـــولـــين: أولا يرجع إطلاقا إن وقع بأيدى أسطول بريطانيـا فى البحر..

نـابلـيـــون: سـيـعـود إذا مـا نحن تبـادلنا الأسـرى بالطبع.. لكن لابأس.. مطلوب منك الآن وداعًا حـاراً للزوج الوطنى الشهم .. الكابتن جان فورييه.. من سوف يضحى من أجل فرنسا الثورة والجمهورية.. داكور..؟

بـــولـــين: داكور جنرال..

(يسـتـمـران فى الرقص مع الآخـرين.. زوبة ودلال يتسللان وسط الناس)

زوبـــــــة: أو هذا هو سارى عسكر نابليون بونابرته..؟

دلال: هو يا سيدتى.. مارأيك فيه..؟

زوبـــــــة: يا للعار .. ماذا يفعل مع تلك المرأة..؟

دلال: هو يرقص معها يا سيدتى..

زوبـــــــة: أو هذا رقص يا مجنونة.. أيطوقها ويضم إليه الخصر..

والصدر إلى الصدر .. والوجه إلى الوجه.. والأنفاس تكاد حرارتها تشتعل وتلفح ما بين الوجهين وأنت تقولين هو الرقص.. كلا.. هذى نار جهنم وعذاب العشق.. أنا أشتعل وأشعر بالنار بداخل قلبى مع إنى لا أرقص معه كما تفعل تلك المرأة.. إنى لا أتمالك نفسى يا دلال فما بال المرأة وهى على هذا الحال..

دلال : هذا هو الفرق الأكبر يا سيدتى ما بين الناس هنا والناس هنالك عند الإفرنج..

الأمر لديهم أبسط مما نتصور لكن الأمر لدينا مختلف وخطير..

زوية : ولماذا هو مختلف وخطير..؟

دلال : هل أخبر سيدتى بحقيقة هذا الأمر..؟

زوية : أتمنى لو أفهم ذلك..

دلال : ذلك أن علينا أسياداً ركبونا منذ سنين .. (تتشنج) دستور يا أسياد.. عفو وسماح يا أسياد.. أما هم ليس عليهم أسياد.. ولذلك ليس لديهم معرفة بالجان وحفلات الزار. (١)

(تتشنج أكثر) دستور يا أسياد.. عفو وسماح يا أسياد..

---

(١) طقس شعبى يقام للتخلص من مس الجان وخاصة عند النساء.

زويـــــــة : ذكرتني بالزار.. أهنالك فرق بين الزار لدينا والرقص لديهم يا دلال..؟

دلال : فـرق شـاسع يا سـيـدتي.. المرأة منهم ترقص حين يخاصرها رجل ويحيط ذراعيه بها في عطف.. أما نحن فنرقص حين يعانقنا الأسياد ويركبنا الجان بعنف. (تتشنج) دستور يا أسياد..

زويـــــــة : ما أدرانا أن الأسياد عليهم هم أيضًا.. بل هم أكثر.. أو لست ترين بأن الرقص لديهم أكثر عنفًا وكأن عليهم ستين عفريت لا عفريت واحد.. أترين..؟ (الموسيقى تزداد صخباً والرقص يزداد عنفاً)

دلال : (وقد بدأت تتشنج أكثر مع صخب الموسيقى) دستور يا أسياد.. عفو وسماح يا أسياد.. رفقاً بي بالله عليكم .. (دلال تنتابها حالة عصبية متأثرة بالموسيقى وتنتفض راقصة في حالة تشنج)

زويـــــــة : ماذا بك يا دلال..؟

دلال : لا أدري يا سـيـدتي .. يبـدو أن الأسـيـاد أتوني حين استمعوا للسيرة.. دستور يا أسياد.. عفو وسماح يا أسياد..

(دلال تندفع بلا وعي لتـشـارك في الرقص مع

الراقصين بصورة هستيرية والجميع يشاهدونها وهم فى حالة دهشة)

زوبـــــة : (وهى تحاول أن تخرجها من حلقة الرقص) كفى أيتها المجنونة..

(دلال تستمر فى الرقص الهستيرى بينما زوبة تحاول جذبها بلا جدوى إلى أن تجد زوبة نفسها فى مواجهة نابليون مباشرة حيث ينظر كل منهما نحو الآخر لحظة كأنها الحلم ـ يتوقف الرقص تماماً ويحيط بهما الجميع فى نظرات الدهشة والإعجاب ـ لحظة وتشعر زوبة كأنها استيقظت من هذا الحلم فتهرب من أمامه وهى تجذب بيدها دلال وتخرجان مسرعتين مذعورتين)

نابليــون : (لبارتلمى مأخوذاً) من هذى السندريللا..؟

بارتلمى : من تقصد يا جنرال..؟

نابليــون : ذات العينين الواسعتين وذات الشعر الأسود..

بارتلمى : هى بنت السيد بقلى..؟

نابليــون : (متذكراً) مسيو بقلى.. وإذن هى تلك الجوهرة المكنونة فى دار المسيو بقلى..

بارتلمى : هى حقاً يا جنرال.. أجمل فتيات المحروسة..

نابليــون : بل أجمل فتيات الكون..

بـــولـــــين: (بغيرة) هذى الطفلة تعجبك يا جنرال..؟

نـابـلـيـــــون: بليلوت المحبوبة.. هذى ليست طفلة.. هى أفروديت وفينوس.. بل هى كليوباتره الطفلة من أسرت رجلاً كهلاً كالقيصر.. اسمعنى مسيو بارتلمى.. أحضر هذى السندريللا أرجوك.. أتمنى لو أتعرف بجمال الشرق الساحر..

بـارتـلـمـى: حالاً أحضرها يا جنرال..

(يخرج بارتلمى مسرعاً يتبعه محروس)

بـــولـــــين: ماذا تبغى من تلك الطفلة يا جنرال...؟

نـابـلـيـــــون: لاشيء.. مجرد إعجاب .. نتعارف لا أكثر..

بـــولـــــين: لاتنسى يا جنرال بأن الطفلة مصرية.. والمصريون لديهم عادات متزمتة وخصوصاً من ناحية المرأة.. أخشى إعجابك هذا يتأوله المصريون بتفسير خاطئ..

نـابـلـيـــــون: بالعكس.. تفسيرك أنت هو التفسير الخاطئ يا حبى.. أو تعرف بليلوت المحبوبة.. أنى قد أتقرب للمصريين إذا إمكننى كسب صداقة تلك المصرية ذات الشعر الأسود والعينين الواسعتين..؟

بـــولـــــين: عفواً.. لن تكسبها يا جنرال.. إذ أنك لن تكسب إلا كره المصريين وغيرتهم وتعصبهم ضدك.. أنسيت بأن

الحب أو العشق هنا فى الشرق هو التابو والعار..

نابليون: هذا ما جئت أغيره يا بليلوت المحبوبة.. هذا مجتمع مازال يعيش قرون الجهل الوسطى.. وأتيت إليه لأخرجه من عصر الظلمات إلى عصر النور..

بولين: ولماذا تفعل ذلك وأنت مجرد غازٍ محتل من صالحه أن يبقى المجتمع المتخلف فى نفس الحال..

نابليون: ذلك أنى أؤمن أن الغزو له وجهان.. وجه همجى يسعى للسلب وللنهب وللتدمير كما فعل التتر وبرابزة أوروبا من قبل.. ووجه يسعى كى ينشر فكراً وحضارة.. كالإسكندر أو قيصر أو رمسيس قديماً أو نابليون الآن..

بولين: ماذا لو أن الناس هنا رفضوا ما تزعمه من علم أو فكر وحضارة..

نابليون: بالعكس .. يكفى ما حدث الآن أمامك.. تلك المرأة من كانت ترقص معنا ولأول مرة.. أو ليس دليلاً عن أن الرقص بداية أن نكسر إحدى حلقات تخلف هذا المجتمع الأمى المغلق..

(يدخل بارتلمى ومحروس يقودان زوبة ودلال)

دلال: اتركنا يا معلم بارتلمى.. دعنا لنعود اعمل معروف..

بارتلمى: لاتخشى شيئاً يا دلالة.. هانحن وصلنا..

زوبـــــــة : أنت يا هذا الساري عسكر.. أو تقبل ما يفعله هذا الشرطى بنا.. أو هذا يرضيك..؟

نابليـــون : عفواً يا آنستى المصرية.. إن كان أساء إليك المسيو بارتلمى.. فلتقبل آنستى أسفى..

(يمد يده ليسلم عليها وينحنى ليقبل يدها إلا أنها تخطف يدها بسرعة كأنما أصابتها لدغة)

زويـــــــة : استغفر الله يا سارى عسكر.. أتقبل ظهر يدى.. هذا ليس يصح.. التقبيل فقط لأيادى الآباء والأولياء..

نابليـــون : أو حقاً.. وإذن معذرة مدموازيل زوبة.. بردون..

زويـــــــة : (مفزوعة) يا خبر.. أو تعرف اسمى يا سارى عسكر..؟ هذا أيضا ليس يصح .. لو علم أبى قد يذبحنى ويقطعنى إرباً إرباً..

نابليـــون : لاتخشى آنستى المصرية.. أنا كنت أريد لقاءك كى أتعرف وأعبر عن إعجابى بك..

زويـــــــة : ماذا.. أنت تعبر عن إعجابك بى يا سارى عسكر.. عجبًا.. ماذا يعجبك إذن بالله عليك وأنا لست بأجمل ممن حولك من فتيات الإفرنج الشقراوات..

نابليـــون : بل أنت تفوقين الفتيات جميعًا فى كل الدنيا يا مصرية.. هاتان العينان الواسعتان وهاتان الشفتان

اللؤلؤتان وهذا الشعر الفاحم مثل الليل، وهذا القد الممشوق كتمثال فرعونى.. لست أصدق أن المسيو بقلى ينجب أجمل ملكات الدنيا وأميرات الأرض.

زويـــــــــة : (منزعجة) يا لهوى.. تعرف أيضاً اسم أ بى.. أرأيت يا دلال..

دلال : طبعًا يعرف يا سيدتى.. السارى عسكر يعرف كل الأشياء هنا فى المحروسة.. أو ليس هو السلطان الآن..

زويـــــــــة : (وهى لاتكاد تصدق) أو هذا حق.. أنت السلطان وليس الترك أو المماليك..؟

نـابليـــــون : يا آنستى المصرية.. الترك أو المماليك أولئك ليسوا إلا مغتصبين لمصر المحروسة وغزاة وأتينا نحن نخلصكم منهم..

زويـــــــــة : وإذن من حق النسوة أن يخرجن بدون حجاب ونقاب كأوامر مولانا السلطان التركى..

نـابليـــــون : من حق النسوة أن يخرجن كما يخرج كل رجال مدينتكم لا فرق هنالك بين امرأة ورجل..

زويـــــــــة : وإذن لك حق يا دلال.. لا خوف من المحتسب التركى ودعوى الحسبة[1] إن نحن خرجنا مثل نساء الإفرنج..

---

(١) دعوى تقام ضد من يتهم بالخروج على تقاليد وتعاليم الدين

دلال: لكن والدك سيرفض يا سيدتي.. هو لا يرضى مثل الحكام الترك بأن تخرج أى امرأة من غير حجاب ونقاب مهما كان..

نابليون: لا خشية من ذلك.. سأدبر هذا مع والدك السيد بقلى.. اسمع يا مسيو بارتلمى.. اذهب لتبلغ مسيو بقلى أنى أتشرف بزيارته حتى أسعد بلقائي معه ولكى أتعرف به..

بارتلمى: أمر الجنرال..

(يخرج بارتلمى ومحروس ورجاله)

زوبة: كلا أرجوك يا سارى عسكر.. لو علم أبى بالأمر سيذبحنى..

نابليون: قلت لك يا آنستى لا تخشى من شيء.. والآن أعرف آنستى المصرية بمدام فوربيه..

(يشير إلى بولين التى تتأمل الموقف فى صمت)

زوبة: (وهى تضم بولين وتقبلها بالطريقة الشرقية) أهلاً يا أختى..

أنت جميلة.. حقاً أنت جميلة..

بولين: مرسى..

زوبة: تبدين كأنك مثل عرائس حلوى المولد.. حيث نلونها

بجميع الأصباغ الرائعة الألوان.. ما أجمل عينيك الزرقاوين وشفتيك الحمراوين وهذا الشعر الذهبى.

حقاً أنت جميلة.. أجمل منى لاشك..

بـولـين: مرسى..

زويـة: لكن.. عفواً يا سارى عسكر.. (تأخذها جانباً) معذرة أن كنت سأسألك سؤالاً حرجًا بعض الشيء.. هل لى أن أسأل..؟

بـولـين: من حقك طبعاً..

زويـة: أوليس لديك هنا من يتولى أمرك؟

بـولـين: ماذا تعنين..؟

زويـة: مثلاً.. رجل يحميك وأنت هنا فى أرض الغربة..؟

بـولـين: ولماذا يحمينى.. أنا أحمى نفسى وأتولى أمرى..

زويـة: أقصد والدك وكيلك ووليك فى كل شئونك..

بـولـين: أنا ليس لى أب..

زويـة: ماذا.. أهنالك أحد ليس له أب.. وإذن كيف أتيت إلى الدنيا..؟

بـولـين: أمى قد جاءت بى من رجل لا أعرفه أو أنتسب إليه..

زويـة: (مفزوعة مما تسمع) يا رباه.. بنت حرام..؟

بـولـين: (ساخرة) حقاً.. بنت حرام.. لا شرعية..

زوبيـــــة: وتزوجت..؟

بـــولـــين: ماذا يمنع..؟

زوبيـــــة: أو هذا يعقل.. من هذا الأحمق حتى يتزوج ممن كانت بنت حرام..

بـــولـــين: (وهى تشير) هذا هو زوجى.. الكابتن جان فورييه..

(فى تلك اللحظة يدخل جان فورييه وهو يحيى نابليون التحية العسكرية)

جـــــان: تمام يا جنرال.. الآن تسلمت رسائلكم وجميع الأوراق المرسلة إلى حكومة الديركتوار.. وغداً سيكون رحيلى من ميناء بولاق إلى أرض الوطن المحبوب فرنسا..

نابليـــون: أحسنت يا كابتن جان.. والآن أذكرك بأن مهمتك الموكلة إليك هى أخطر ما فى الأمر.. إذ أن مصير الحملة فى الشرق هنا رهن وصولك لفرنسا بسلام.. ولذلك ألفت نظرك كى تحذر أسطول بريطانيا فى البحر المتوسط حيث يحاصرنا من كل الأنحاء.. واحذر أن تقع أسيراً فى أيديهم حتى لا تحزننا من أجلك أو تحزن زوجتك المحبوبة بولين..

جـــــان: ثق بى يا جنرال.. فأنا لن أقبل أبداً أن تفقدنى بولين وتحزن من أجلى.. ولذلك سأجاهد لأعود.. لكنى

أطلب طلبا ورجاء منك بصفة شخصية.. لتكن بولين المحبوبة تحت رعايتكم وعنايتكم.. وأنا فى ثقة أنك سوف تخفف عنها فترة سفرى وغيابى عنها.. أرجوك بأن تشملها برعايتك السامية يا جنرال..

زوبية : (هامسة لدلال ومستنكرة) ما هذا يا دلال.. يترك زوجته لرجل آخر ويسافر .. يا لمصيبته الحارة..

نابليون: لاتشغل بالك يا كابتن.. زوجتك ستلقى كل العطف وكل الحب.. والآن. خذها كى تسعدك وتسعدها فى آخر ليلة..

هيا يا بولين المحبوبة مع زوجك حتى يتمتع بوداع منك جدير بشجاعة جندى شهم من جند فرنسا الجمهورية..

بولين: أمرك يا جنرال..

(بولين تنحنى لنابليون الذى يقبل يدها ثم تصحب زوجها جان ويخرجان)

نابليون: ما رأيك أيتها المصرية.. هذا جندى ممتاز.. أو ليس كذلك..؟

زوبية : أو تعرف ماذا ندعو هذا الرجل لدينا يا سارى عسكر..؟

نابليون: ماذا تدعونه..؟

زوبـــــــــة: (وهى تنظر إلى دلال ضـاحكة) قـولى يا دلال.. مـاذا ندعوه..

دلال : (ضاحكة) ندعوه خروفاً..

نـابليـــــون: (بدهشة) ماذا..؟

زوبـــــــــة: (مكملة) وله قرنان كبيران.. (تشير بيديها إلى موضع القرنين)

نـابليـــــون: لا أفهم ما تعنين..؟

زوبـــــــــة: أهنالك رجل ليس يغار على زوجـتـه إلى هذا الحـد..؟ يتركها فى عصمة رجل آخر فى الغربة.. هذا رجل فقد الشرف وفقد النخوة والغيرة..

نـابليـــــون: أوه.. الآن فهمت.. لكن هل تعرف آنستى المصرية.. (وهو يضع يده تلقائياً على كتفها)

زوبـــــــــة: (تبعد يده بعنف) ما هذا يا سارى عسكر.. أتظن بأنى زوجة رجلك صاحب هذين القرنين..؟ كلا يا سارى عسكر.. نحن لدينا أخلاق وحياء..

نـابليـــــون: بردون.. آسف جـداً يا آنسـتى.. ودعـينى أشـرح لك وجـهة نظرى.. الأخلاق أمور نسبيـة.. تخـتلف كـثيراً من مـجـتمع للآخر.. لكن هنالك قـاعـدة لايـجب بأن نختلف عليها.. وهى الحرية..

زويـــــــة: أية حـرية.. رجل وامـرأة والثـالث بينهـمـا لاشك هو الشيطان..

نـابليـــــون: أعنى الحرية فى ظل المسئولية.. مثلاً أنت وأنا.. من حق كلينا حرية أن نفعل ما نحن نشاء برغبتنا وإرادتنا.. لكن علينا أن يتحمل كل منا عاقبة الأمر.. داكور..؟

زويـــــــة: هذا ليس بعدل أو حرية.. كيف تساوى امرأة برجل.. مع أن المرأة نصف الرجل وأدنى منه..

نـابليـــــون: هذا ما يجب على المرأة أن ترفضه تماماً..

دلال : ترفض ماذا يا سارى عسكر.. المرأة عورة.. محظور أن تتكلم أوتتكشف على رجل إلا ليلة دخلتها..

نـابليـــــون: (ضاحكاً) وإذن فأنا أسعد رجل تتكشف عليه فتاة مصرية.. هى من أجمل فتيات الدنيا..

زويـــــــة: (كأنما تهرب من غزله) هذا يكفى.. هيا يا دلال لنعود..

نـابليـــــون: أو لست تريدين مشاركة فى الرقص..

زويـــــــة: هذا ليس برقص.. هذا فسق وفجور..

نـابليـــــون: أو يعنى هذا أن لديكم رقصاً أفضل منه..؟

زويـــــــة: طبعاً.. أفضل بكثير.. أو ليس كذلك يا دلال..؟

دلال : يا سارى عسكر.. إنا نرقص لكن فى أوقات معلومة.. وحفلات مخصوصة..

زويـــــــة: (تكمل) وبشكل محترم جداً..

نـابليـــون: رائع.. أتمنى لو أحضر حفلاً محترماً للرقص لديكم..

زويـــــــة: إن كان لديك الرغبة فى ذلك حقًا.. لتقل لأبى حين تقابله أنك ترغب فى أن تحضر حلقة ذكر..

نـابليـــون: حلقة ذكر..؟ ماذا تعنين بحلقة ذكر[1]..؟

زويـــــــة: هى حفلة رقص رجال محترمة..

نـابليـــون: أوه.. رقص رجال.. أو ليس لديكم رقص نساء..؟

زويـــــــة: يوجد طبعاً.. حلقة زار..

نـابليـــون: حلقة زار.. مدهش..

زويـــــــة: هى حفلة رقص حريم.. لكن أيضاً هى محترمة..

نـابليـــون: رائع.. هل يمكن أن أحضر هذين الحفلين معاً..

زويـــــــة: ماذا يمنع.. قل لأبى واطلب منه حضور الحفلين معاً..

دلال : (معترضة) يا سيدتى.. هذا ليس يصح.. لايمكن أن يجتمع الذكر مع الزار..

نـابليـــون: ولماذا لايجتمعان..؟

زويـــــــة: بل يجتمعان.. وسنثبت لك يا سارى عسكر أن الرقص

---

(١) طقس دينى عند الطرق الصوفية

لدينا محترم حتى لو كان يضم الذكر مع الزار..

دلال : هذا لن يحدث يا سيدتى.. والدك سيرفض قطعًا.. أو هذا معقول يا ناس.. حلقة ذكر مع حلقة زار.. (تتشنج) دستور يا أسياد..

(يدخل بارتلمى يتبعه محروس)

بارتلمى: بردون جنرال.. مسيو بقلى موجود فى التيفولى يبحث عن ابنته زوبة..

زوبة: (مذعورة) يا خبر.. لو يعلم بوجودى سيقطعنى إرباً.. هيا يا دلال..

(زوبة ودلال يغطيان وجهيهما وتخرجان مسرعتين من جهة بينما يدخل السيد البقلى من جهة أخرى ومعه عدد من العبيد)

البقلى: فليبحث كل منكم فى كل مكان.. لاتدعوا مكاناً حتى تجدوا تلك البنت الملعونة..

بارتلمى: مسيو بقلى.. السارى عسكر بونابرت يريد لقاءك..

البقلى: (مذعوراً) السارى عسكر.. لم يا سيد بارتلمى.. أنا لم أفعل شيئاً يستوجب أن يطلبنى.. إنى أبحث عن بنتى..

نابليون: مسيو بقلى.. أتمنى لو أتعرف بك..

البقلى: (وقد فوجئ بلقاء نابليون) السارى عسكر.. عفواً يا

مولاى السلطان الأكبر.. صدقنى أنا لم أفعل شيئا ضد عساكركم أو ضد الحملة.. ولتسأل مسئول الشرطة.. أو ليس كذلك يا مسيو بارتلمى..؟

بارتلمى: هذا حق يا جنرال .. السيد بقلى من أطيب أشراف المحروسة..

نابليون: أعلم ذلك.. أعرف أيضاً أنك لم تتعصب ضد الحملة مثل بقية أعيان وأشياخ القاهرة المحروسة يا مسيو بقلى.. ولذلك فأنا أعتبرك كصديق وكرمز سلام بين الشعب المصرى وشعب فرنسا..

البقلى: هذا شرف لى يا سارى عسكر بونابرت .. شكراً لك.. والآن لتأذن لى فأنا أبحث عن بنتى..

بارتلمى: لاتقلق يا مسيو بقلى.. الشرطة قامت بالواجب وتولت توصيل ابنتك إلى دارك بأمان..

البقلى: أو حقاً يا سيد بارتلمى.. حمداً لله وشكراً لك..

نابليون: مسيو بقلى.. أتمنى أن استقبلك بقصرى.. وكذلك أتمنى أن تستقبلنى فى دارك.. أهنا لك ما يمنع من ذلك..؟

البقلى: حاشا لله يا سارى عسكر.. فحضورك فى دارى شرف لى ليس يقدر..

نابليـــون: وإذن سأزورك حين تحقق لى طلبا أرجوه..

البـــقلى: اطلب ما شئت وسوف أنفذه لجنابك فى الحال..

نابليـــون: حسناً.. لاشك بأنك تعلم يا مسيو بقلى.. أنى ورجالى ونساء الحملة أجمعنا نهوى الحفلات الترفيهية لنروح عن أنفسنا ونشيع البهجة والفرحة فيكم معنا..

البـــقلى: معلوم يا سارى عسكر.. معروف عنكم روح البهجة والأنس كما فى هذا التيفولى.. وعلى رأى المثل المصرى.. ساعات الحظ ما تتعوضش.. هذا للحق.. (يصطنع الضحك)

نابليـــون: فلتعلم يا مسيو بقلى.. أنى جئت إليكم يصحبنى علماء وأدباء وفنانون عظام.. من خيرة نجباء فرنسا.. لم آت لأخرب وأدمر بل أبنى وأعمر.. قد تعترضون على ما أفعل وتظنون الظن السيئ بى.. لكنى لم أفعل أسوأ مما فعل الترك بكم.. والآن وقد أصبحنا نحيا معكم.. لنضع أيدينا فى أيديكم ونشارككم لحظات البهجة والفرح.. أنا أعلم أن لديكم حفلات للأنس وللحظ.. وعلمت كذلك أنك أنت تقيم الحفلات الراقصة بدارك يا مسيو بقلى.. أو ليس كذلك..؟

البـــقلى: (مستنكراً) أنا يا جنرال.. أقيم بدارى حفلات ماجنة

للرقص.. أنا رجل من أشـراف القـاهرة المحـتـرمين وأفعل هذا.. حـاشا الله.. كلا يا سارى عسكر.. أنا رجل مـحترم جداً لايصدر عنى هذا الفعل المشبوه.. أو هذا معقول.. أصنع فى دارى حـفلات غـوازى الحانات.. من أبلغك بهذا أخطأ فى حقى يا جنرال..

نـابليـــون: أنا لا أقـصـد هذا يا مـسـيـو بقلى.. أنا أتكلم عن هذا الرقص المحترم المقبول لديكم..

البـــقلى: رقص محترم مقبول.. ماذا تعنى يا جنرال..؟

بـارتـلـمـى: يا مسيو بقلى.. السارى عسكر يقصد حلقات الذكر..

البـــقلى: مـاذا.. (ضـاحكاً) أجنابك يهوى حلقات الذكـر.. لست أصدق..

نـابليـــون: ولماذا لست تصدق.. هل هى رقصات صعبة..؟

البـــقلى: جـداً.. أو تعرف مـاذا يجب على من سوف يمارس فـعل الذكـر.. أن يتمطوح نحـو يمين ويسار وإلـى أعلى وإلى أسفل، والرأس إلى ناحية والأيدى إلى الناحية الأخرى، وتدور بجـذعك وبكل كـيـانك وكـأنك تـتـحـرك فى كل الأرجاء وفى وقت واحد..

نـابليـــون: (مأخوذاً) رائع .. رائع..

البـــقلى: ياسارى عسكر.. هذا شىء مرهق.. وكذلك ليس يليق

بكونك سارى عسكر والسلطان الأكبر.. أو ليس كذلك يا مسيو بارتلمى.. أخبره أرجوك..

بـارتـلـمـى: السيد بقلى يا جنرال يخاف على وضعك ومقامك.. إذ أن الذكر يمارسه الدراويش والعامة والحرافيش ودهماء الشعب.. وهذا حقاً أمر ليس يليق..

نـابليـون: بل هذا هو ما أبحث عنه.. رقص العامة والحرافيش.. هذا هو فن الشعب المصرى ومن أسعى كى أتقرب منه.. من فضلك مسيو بقلى. سوف أشارك عندك فى حلقة ذكر.. أيضاً من فضلك حفلة رقص حريم..

البـقلى: (بدهشة) حاشا لله.. ليس لدينا رقص حريم يا جنرال..

بـارتـلـمـى: سارى عسكر يقصد حفلات الزار يا مسيو بقلى..

البـقلى: حفلات الزار.. (يتشنج) دستور يا أسياد.. دستور يا أسياد (يقفز فى هستيرية كأنه يرقص) عفو وسماح يا أسياد.. عفو وسماح..

نـابليـون: (وقد أعجبته الحركات الهستيرية من السيد البقلى) رائع.. رائع يا سيد بقلى.. واصل من فضلك.. واصل أرجوك..سيلفو بليه..

البـقلى: (دون أن يفهم) ماذا أواصل يا جنرال..؟

نـابليـون: هذا الرقص الشعبى الرائع.. أو هذا هو ما يدعى

بالزار..؟

البقلى: لاحول ولاقوة إلا بالله.. أجنابك تطلب حفلة زار..؟

نابليون: هو ذلك يا مسيو بقلى.. أتمنى لو أرقص رقصات الزار..

البقلى: عفواً.. أجنابك ركبتك الأسياد..؟

نابليون: (بدهشة) أسياد تركبنى.. ماذا تعنى بالأسياد..؟

البقلى: أولا تعرف معنى الأسياد يا جنرال.. لاحول ولاقوة إلا بالله.. يا سارى عسكر.. الأسياد هم العفاريت أو الجان .. وحفلات الزار تقام لمن يمسسه جن أو تركبه عفاريت..

نابليون: (ضاحكاً) عفاريت تركب.. ولماذا لاتركب أحصنه وجياداً مثلاً..

محروس: عفوا يا جنرال.. هم لايعجبهم إلا ركوب البنى آدمين..

نابليون: لم أسمع عن أسياد تركب إنساناً إلا فى مصر وفى الشرق.. فلماذا لايحدث هذا فى أوروبا أو فى العالم.. لم يركبنا عفريت أو جن من قبل..؟

محروس: هم أسياد شرقيون يا جنرال.. أبناء عرب..

البقلى: هذا من سوء الحظ لدينا.. ركبونا نحن فقط من دون بلاد العالم.. أو ليست تلك مصيبة..

محروس: لاتحزن يا سيد بقلي.. نحن تعودنا ذلك منذ قديم.. ركبونا الترك وركبونا المماليك فهل نعجب أن يركبنا الأسياد..؟

البقلي: على رأيك يا محروس.. من جملة من ركبونا منذ سنين..

نابليون: لكنى لا أفهم ماذا يربط بين الزار وبين الأسياد.. ألديكم تفسير يا هذا..؟

محروس: طبعًا يا جنرال.. الزار وسيلتنا لأزاحتهم عن عاتقنا.. دقات الزار تساعدنا كى نقفز رقصًا أو نرقص قفزًا حتى يسقط عنا الأسياد الرابضة علينا فوق الأعناق..

نابليون: (ضاحكًا) رائع.. تفسير معقول يا هذا.. ما اسمك..؟

محروس: محسوبك محروس يا جنرال..

بارتلمى: هو من أعوانى يا جنرال..

نابليون: خذه إلى مجمعنا العلمى ليشرح ذلك للعلماء هناك.. وأنت يا مسيو بقلي.. إنى أطلب حفلاً يجمع بين الاثنين.. حفلة ذكر مع حفلة زار.. المسيو بارتلمى سيقوم بترتيب الحفل معك.. داكور..

(يخرج نابليون)

البقلي: (مذهولا) حفلة ذكرمع حفلة زار.. يالمصيبتك الكبرى

يا مسيو بقلى.. (يسقط مغشياً عليه بين يدى بارتلمى ومحروس)

*

ستار

(الفصل الثانى)

المشهد الأول

(بهو كبير فى بيت السيد البقلى.. المكان معد لإقامة الحفل الكبير الذى يحضره نابليون. يدخل السيد البقلى مهموماً تتبعه زوجته رتيبة وابنته زوبة)

*

البقلى: كفى يا امرأة عن هذا الطيش...؟ أجننت..؟

رتيبة: أو معقول أن تعمل فى دارى حفلاً للزار ولا أحضره..؟

البقلى: ذلك حين يكون مجرد حفلة زار للنسوة.. أما وهنالك حلقة ذكر رجال .. أو ليست تلك فضيحة..؟

رتيبة: ماذا أرغمك إذن أن تجمع زار حريم مع ذكر رجال..

البقلي: لا أملك إلا أن أفعل يا رتيبة.. هذى رغبة سارى عسكر نابليون السلطان الأكبر من يحكمنا.. بل يحكم كل بلاد الدنيا.. لا أقدر أن أرفض طلباً له..

رتيبة: مادمت قبلت بذلك فلماذا ترفض أن أحضر حفل الزار..؟

البقلي: أيتها المجنونة.. أتريدين السارى عسكر يشهدك مع النسوة فى حفل الزار.. أتكونين محط الأنظار..؟

زوبة: عفواً يا أبت.. هذا أمر عادى عند السارى عسكر والإفرنج.. فلديهم زار نساء ولديهم ذكر رجال لكن فى وقت واحد ومكان واحد.. هذا ما يحدث فى التيفولى..

البقلي: (مستنكراً) ماذا قلت يا بنت..؟ كيف عرفت بهذا التيفولى المزعوم..؟

زوبة: (مرتبكة) معذرة يا أبت.. هذا ما قالته دلال الدلالة لى..

البقلي: أيتها الملعونة.. وتريدين لنا أن نصنع ما يصنعه الكفرة من فسق وفجور فى هذا التيفولى الملعون..

زوبة: حاشا لله.. هذا هو طلب السارى عسكر نابليون كما أنت تقول.

البقلي: حتى إن كان الأمر كذلك.. هل أترك أمك تحضر هذا

الحفل وتنكشف على السارى عسكر وعساكره الكفرة..؟

رتيبة: أنا لم أطلب هذا يا رجل.. لا تظلمنى.. هذا هو طلب الأسياد (تتشنج) دستور يا أستاذ.. عفو وسماح يا أسياد.. من يملك أن يرفض طلب الأسياد.. أو هل تتحمل هذا الوزر..؟

البقلى: (مرعوباً من الفكرة) لا أقصد هذا يا رتيبة.. أنا لا أجرؤ أن أرفض طلباً للأسياد.. لكن ماذا أفعل فى طلب السارى عسكر.. ماذا أفعل بالله عليكم..؟

رتيبة: وإذن نفذ طلب الاثنين.. السارى عسكر والأسياد..

البقلى: ستكون فضيحتنا كبرى بجلاجل وخصوصا لو علم الناس بذلك..

زوبة: لك عذرك يا أبت.. إغضاب الناس هنا أهون من إغضاب الأسياد .. أو ليس كذلك يا أماه..؟

رتيبة: هو أهون بالطبع.. أهون بكثير..

البقلى: كلا .. لا أملك إغضاب الناس..

رتيبة: ماذا تنوى أن تفعل..؟

البقلى: لن تحضر إحداكن الحفل..

رتيبة: وإذن تنوى إغضاب الأسياد..؟

البقلى: لن أغضبهم.. وسأرضيهم بحضور جوارينا..

رتيبة: (محتجة) ماذا .. أنا سيدة الدار وصاحبة الحفل وتحضره جوارينا وأنا لا أحضر.. يا لهوى يا لهوى.. تلك إهانات كبرى تلحق بالأسياد.. (تتشنج) دستور يا أسياد .. دستور يا أسياد.. عفو وسماح يا أسياد.. (تزداد تشنجاً)

زوبة: (تتأثر بتشنج أمها) يا أبت هذا لا يرضى الأسياد.. (تتشنج) دستور يا أسياد.. دستور يا أسياد..

البقلى: (مذعوراً من تشنج ابنته) ما بك يا بنت..؟

زوبة: (متشنجة) إلحقنى يا أبت.. ركبونى الأسياد.. إلحقنى أرجوك.. (تتشنج بعنف) جسدى يتمزق.. عظمى يتحطم..

رتيبة: أرأيت.. هذا غضب الأسياد.. يا ويلتنا.. يا ضيعتنا أنا وابنتك المسكينه.. الحق ابنتك وإلا ضاعت منا.. الحقها بالله عليك.. وافق أن نحضر حفل الزار.. وافق أرجوك وإلا ضعنا..

(رتيبة وزوبة يزداد تشنجهما مما يمثل ضغطاً عصبياً عليه)

البقلى: (راضخا) سأوافق يا رتيبة.. سأوافق وأفوض أمرى لله..

(يخرج وكأنما يهرب من الموقف الصعب)

رتيبـــة : (تتنفس الصعداء) حمداً لله.. وافق والدك أخيراً يا زوية وسنحضر حفل الزار.. فلتهدأ روحك وليهدأ جسدك يا فلذة كبدى.. (تحضنها بحنان)

زويـــة : (مازالت تتشنج) ساعدينى يا أمى.. أشعر وكأن هنالك عشرات الأسياد على ظهرى وعلى عنقى..

رتيبـــة : انصرفوا يا أسياد بالله عليكم .. عفو وسماح يا أسياد.. انصرفوا بسلام..

زويـــة : (تهدأ) حمداً لله.. هاهم ينصرفون ويبتعدون..

رتيبـــة : (وهى تشير لهم بالانصراف) دستور يا أسياد.. دستور يا أسياد..

زويـــه : أماه.. أو تدرين بأن الأسياد أولئك أصحاب مزاج.. لا ينصرفون سوى بالرقص وبالطبل وحفلات الزار..

رتيبـــة : (متنهدة بحرقة) هذا حق يا فلذة كبدى.. ذلك أن الفرح لدينا نحن النسوة شيء نادر.. البنت لدينا لما تكبر أو تنضج وتحس بمتع الدنيا تحبس بالدار.. فظهور المرأة عيب.. بل كل جميل فى المرأة عيب.. الضحكة عيب.. الغنوة عيب.. الرقصة عيب.. أما فى حفلات الزار فليس هنالك عيب وحرام .. والكل مباح.. من

حق المرأة أن تفعل ما شاءت من غير حرج.. ترقص وتغنى تطلب ما شاء لها أن تطلب حتى لبن العصفور ومطلبها مجاب.. حفلات الزار هي الشيء الأوحد والممتع عند المرأة منا في هذا الزمن الموحش.. والحق أقول.. هذى الحفلات تعوضنى عما أشعر من حزن وكآبة .. لولاها ما عشت حياتى حتى الآن.. ولذلك لا أملك أن أتنازل عنها مهما كان .. هى ترفع عنا الهم وتمنحنا السلوان..

زويبة: (ضاحكة) وتزيح كذلك عنا الأسياد.. أو ليس كذلك يا أماه..؟

رتيبة: يا فلذة كبدى.. هم الأسياد يهون إذا ما قورن بهموم الأحزان..

زويبة: لك حق يا أماه.. ولسارى عسكر والإفرنج كذلك حق فيما هم يبتدعون من الحفلات الراقصة هنالك لتفرج عن أنفسهم.. إنى أغبطهم يا أمى.. أحسدهم مما هم فيه من الحرية والبهجة والفرح..

(تدخل دلال الدلالة).

دلال: عافية الله عليكم..

رتيبة: ماذا فعلت يا دلال.. هل أبلغت الكودية..؟

دلال : طبعاً يا سيدتى.. الكودية لما عرفت أن السارى عسكر يطلب حفلة زار لم تسع الدنيا فرحتها.. قالت حمداً لله فقد ركب الأسياد السارى عسكر وجنود الإفرنج.. وتمنت لو نجح الأسياد وركبوا كل بلاد الدنيا.. (تزغرد فرحاً) قولى يا رب..

رتيبة: وأين الكودية.. أو لم تحضر بعد..؟

دلال : حضرت مع فرقتها وتنتظر أوامر سيدتى..

رتيبة: أحسنت يا بنت.. لك عندى مكافأة كبرى..

دلال : شكراً لك يا سيدتى.. يكفينى رضاؤك عنى..

(تخرج رتيبة)

زوبة: (هامسة) هل أخبرت الكودية يا دلال..؟

دلال : طبعاً يا سيدتى.. ستنفذ كل مطالبك جميعاً..

زوبة: (سعيدة) وإذن يمكننى أن أرقص وأغنى..

دلال : رقص وغناء وطرب.. سيكون هنالك حفل أجمل من حفل التيفولى..

زوبة: (متوجسة) لكن.. أولا يعترض أبى يا دلال..

دلال : من يجرؤ أن يعترض على أمر الأسياد يا سيدتى.. (تتشنج)

دستور يا أسياد.. (تتراقص أكثر) عفو وسماح يا أسياد..

زويـــــــة: (حالمة) يا بسلام يا دلال.. أحياناً كنت أخاف أغنى أو أرقص حتى وأنا وحدى.. وكأن هنالك من يوثق قدمى ويصلبنى للسقف أو الحيطان.. لكنى الآن فقط ولأول مرة.. أشعر بالحرية منذ ولدت.. سوف أغنى.. أرقص كالطير أمام الناس.. لن يمنعنى أحد مهما كان.. بل سوف يكون هنالك من يترفق بى ويشجعنى ويقول.. فلنتركها ترقص وتغنى مادامت هذى رغبتها كى يرضى عنها الأسياد..

دلال : آه يا سيدتى يا أجمل فتيات المحروسة.. أو تدرين الآن مفاجأتى لك..؟

زويـــــــة: ماذا يا دلال..؟

دلال : سوف تكونين عروس الزار..

زويـــــــة: أو حقاً يا دلال.. أو أخبرت الكودية..؟

دلال : وعدتنى أن تجعل منك عروسا مثل عروس الإفرنج..

(تخرج فستانا أبيض من الصرة التى تحملها)

أترى سيدتى هذا الفستان..؟

زويـــــــة: (مبهورة) ما أجمله من ثوب.. هو يشبه فستان فتاة السارى عسكر..

دلال : بل أجمل منه.. وخصوصاً حين يكون عليك..

زوبـــــــة : هل ألبس زى الأفرنج يا دلال..؟

دلال : ماذا يمنع..؟

زوبـــــــة : أولا يعترض أبى..؟

دلال : لن يعترض إذا علم بأن الثوب أتى تحقيقًا لمطالب أو رغبات الأسياد..

زوبـــــــة : عندك حق.. (وهى تضع الثوب على صدرها) أتراه يليق بواحدة مثلى وأنا لست فتاة إفرنجية..؟

دلال : بل هو يزداد جمالاً بك..

زوبـــــــة : أتراني أجمل منها.. أعنى فتاة السارى عسكر ..؟

دلال : إلا أجمل يا سيدتى.. تلك فتاة مصطنعة.. تتجمل بالصبغة والمساحيق كمثل عروس المولد.. أما أنت فأنت جمال رباني وطبيعى.. أو لم تلحظ سيدتى نظرات السارى عسكر نحوك فى التيفولى..؟

زوبـــــــة : نحوى.. ماذا تعنين يا بنت..؟

دلال : وحياتك عندى يا سيدتى.. السارى عسكر لن يأتى هنا إلا من أجلك أنت..

زوبـــــــة : (غير مصدقة) أجننت يا بنت.. يأتى من أجلى أنا أم من أجل الزار أو الذكر..؟

دلال : زار ماذا أو ذكر ماذا يا سيدتى.. السارى عسكر لا

يحتاج لهذا أو ذاك..

فهنالك فى التيفولى رقص أجمل من رقص الزار أو الذكر.. هو آتٍ من أجلك أنت.. وأنت فقط..

زوبة: لاشك جننت.. سارى عسكر هذا من يملك مصر وكل بلاد الدنيا ينظر لفتاة مثلى..؟ ماذا يدعوه لذلك وهو لديه نساء أجمل وجوارٍ من كل الأجناس..

دلال: يا سيدتى.. السارى عسكر هذا ليس لديه جوارٍ أو حتى عبيد.. هو ليس لديه سوى زوجة .. لم يأت بها لخلاف معها ولسوف يطلقها.. هذا الموضوع مشاع بين جميع العسكر..

زوبة: وإذن..؟

دلال: هو يبحث عن حب آخر.. وأنا واثقة أنك هذا الحب..

زوبة: مجنونة.. حقاً مجنونة..

(تخرج زوبة لتخفى عواطفها تتبعها دلال ضاحكة، بينما يدخل السيد البقلى من جانب آخر ومعه جوقة من الدراويش العميان يقودهم خنشع وهم يتعثرون فيما بينهم).

خنشع: انتبهوا يا عميان... بنظام..

البقلى: ما هذا يا ريس خنشع.. لم نتفق على هذا..

خنشع: خيراً يا سيد بقلى..

البقلى: عميانك يتخبط كل منهم بالآخر..

خنشع: جل من لا يسهو يا سيد بقلى.. جل من لا يسهو يا رجل..

البقلى: كلا.. أنا لا أقبل سهواً قط.. وخصوصاً فى حفل الليلة بالذات..

خنشع: صبرك يا سيد بقلى.. مازلنا لم نستفتح بعد..

البقلى: أنا كان بإمكانى أن أحضر جوقة دروايش من أصحاب البصر الحاد.. لكنى اخترت العميان لسبب تعرفه أنت ولاشك..

خنشع: أعرف يا سيد بقلى.. أعرف أنك تطلب فرقة دراويش من صنف العميان على شرط.. أن يبدو كل منهم كالمبصر..

البقلى: يتصرف أيضًا كالمبصر.. هذا هو شرطى يا ريس خنشع..

خنشع: سأنفذ شرطك يا سيد بقلى.. سأنفذه بالحرف الواحد.. وتأكد أن السارى عسكر حين يرانا لن يشعر أنا عميان.. صدقنى.. لقد اخترت العميان على الفرازة.. انظر.. كل منهم يملك زوجين من الأعين تبدو كعيون

الصقر .. وسبحان الله بدون بصر..

(يدخل بارتلمى يتبعه محروس)

بارتلمى: (غاضبًا) ما هذا يا سيد بقلى.. تحضر جوقة ذكر للعميان أمام السارى عسكر..

البقلى: هو أضمن للقيم وللأخلاق يا مسيو بارتلمى..

بارتملى: بل هذا تدليس وخداع..

البقلى: يا مسيو بارتلمى.. أنا لا أقبل أن أعمل حفلا مختلطا تنكشف النسوة ليبحلق فيهن رجال الذكر.. أنا لا أقبل هذا الفجر..

بارتملى: يا مسيو بقلى.. أهنا لك رجل يدخل حلقة ذكر ويكون لديه الفرصة ليبحلق وهو يكاد يموت من الإجهاد وحركات الذكر..

البقلى: يحدث يا مسيو بارتلمى.. أنا أدرى منك بهذا الأمر.. لو أن هنالك رجلاً مندمجًا فى حلقة ذكر وأتته مجرد رائحة امرأة أو سيرتها تتصلب رقبته ويبحلق لا تطرف عيناه.. وحينئذ لا ذكر يكون ولا يحزنون..

خنشع: السيد بقلى ينطق بالحق.. ذكر العميان ضمان وأمان.. لا يمكن أن يحدث فيه مشاكل.. أى والله.. أذكر فى إحدى المرات وكنت بحلقة ذكر ليس بها عميان..

مـرت سـيـدة تبـحـث عن طفل تائـه.. والله يا سـيـد بارتلمي.. لم يبق فى الحلقـة غـيـرى.. والكل مـضى خلف السـيـدة بـحـجـة أن يبـحـث مـعـهـا عن هذا الولد التائه.. أى والله..

محروس: فليجزهم الله على فعل المعروف... (يضحك)

بارتلمى: لكن السارى عسكر لن تعجبه حلقة ذكر العميان يا سيد بقلى.. هذا رجل يبحث عن حفلات المتعة والأنس.. لا الحفلات الخيرية وعروض ذوى العاهات..

خنشع: لا تقلق يا مسيو بارتلمي.. لن يشعر سارى عسكر أن هنالك عـمـيـاناً فى الحلقـة وأنا المسئـول.. ولعلمك أنا دربت العميان كثيراً حتى صار الواحد منهم يتصرف كالمبصر بالضبط..

محروس: ربك يسترها معك ومعنا يا ريس خنشع..

(نفير وموسيقى عسكرية إعلاناً بقدوم نابليون)

البقلى: (مضطرباً) ها قد وصل السارى عسكر.. انتبـهـوا يا عميان اعملوا معروف..

خنشع: دعها لله يا سيد بقلى.. قل يا باسط.. والآن يا عميان.. كـونوا على أهبة الاستـعـداد.. حين أقـول لكم وحـد... إديها..

(يدخل نابليون فى زى شرقى وعلى رأسه عمامة كبيرة وبرفقته بولين وعدد من الحراس) .

البقلى: (مرحباً) أهلاً بك يا سارى عسكر .. نورت الدار .. (يشير إلى مكان الجلوس فيجلسون)

خنشع: (هامساً) هل نبدأ يا سيد بقلى ..

البقلى: صبراً يا ريس خنشع .. (لنابليون) هل تشرب شيئاً أو تأكل قبل الحفل يا جنرال ..؟

نابليون: بل نبدأ حفل الليلة يا مسيو بقلى ..

البقلى: أمرك .. (فى قلق لخنشع) ابدأ يا ريس خنشع لكن خذ حذرك بالله عليك ..

خنشع: لا تقلق يا رجل .. (للعميان) والآن نبدأ حلقة ذكر الليلة فى دار السيد بقلى أكرمهُ الله وأبقاه ..وحد (تبدأ جوقة العميان الذكر بطقوسها المعروفة على إيقاع الموسيقى الشعبية بقيادة خنشع الذى يقوم بالإنشاد فترة حتى تحتدم حركات الذكر ـ بعدها يشير نابليون إلى السيد البقلى الذى يشير بدوره فتدخل الكودية بفرقة الزار من النساء والجوارى وتقدم طقوسها الخاصة على إيقاع دقات الزار المعروفة وغناء الكودية بفرقتها الشعبية . الجوقتان (الذكر والزار) تلتحمان وتقدمان تابلوهاً

استعراضياً يجمع بين الأثنين بينما السيد البقلى يبدو مهموماً بقضية الفصل بين الجوقتين خصوصاً من أجل زوجته المندمجة بصورة عصبية فى حلقة الزار. ثم تظهر زوية فى أبهى زينتها. حيث تمثل عروس الزار طبقا للطقس المعروف وتقدم رقصتها المبهرة على دقات الزار وإيقاعات الذكر وكأنها جمعت الكل فى واحد. السيد البقلى لا يتحمل رؤية زوجته وابنته ويبدو فى حالة هيستيرية ويصيح بأعلى صوته معترضاً).

البقلى: كفوا عن هذا الفسق.. كفوا عن هذا الفجر..

(يسقط مغشياً ويتوقف الجميع وكأن على رءوسهم الطير).

رتيبة: (تسرع إلى زوجها وتحاول إفاقته) زوجى.. ماذا بك..؟

البقلى: (وهو يفيق غاضباً) كفى عنى يا امرأة السوء.. غورى من وجهى..

رتيبة: ما بك يا زرجى المسكين.. لاشك بأنك أغضبت الأسياد..

البقلى: (بهستيرية) كفوا عنى هذى المرأة.. أخفوها عن وجهى..

زويـــــــة: (لتهدئ من الموقف) هيا يا أمي.. خذيها يا دلال..

دلال : هيا يا سيدتى.. (تأخذ رتيبة) زوجك لم يحتمل الحال.. هذا ما كنت توقعت .. (تخرجان).

زويـــــــة: (وهى تساعد والدها على النهوض) ماذا بك يا أبت.. هل أنت بخير ؟

البـــــقلى: (وهو يبعدها عنه) ابتعدى عنى أيتها الملعونة.. ابتعدى لعنات الله عليك وعلى أمك وعلى كل نساء العالم.. كم أتمنى موتى حتى لا أشهد أحداً منكن .. لعنات الله عليكن جميعاً.. لعنات الله عليكن..

(يمسك بعصاه ويطيح بها وراء الجوارى والعميان حتى يخرج الجميع فيما عدا نابليون وبولين والحراس)

بـــولـــين: الرجل أصابته لوثة..

نـابليـــون: ما تلك سوى إحدى الصدمات العصبية..

بـــولـــين: أية صدمة..؟

نـابليـــون: صدمة غرب يقتحم الشرق..

بـــولـــين: يا جنرال.. هذا رجل يحتاج طبيباً..

نـابليـــون: لا يقلق بالك يا بليلوت.. فعلاج الرجل لدى..

بـــولـــين: (بنبرة ساخرة) وإذن ستقيم له حفلة زار تنقذه من غضب الأسياد كما قالت زوجته الآن..

نـابليـــــون: بل أجعله يرقص معنا فى التيفولى..

بـــولـــين: يرقص .. ماذا تقصد ..؟

نـابليـــــون: إن لم ننجح فى أن نرقص مـعـه فى الزار.. فسنجعله ينجح فى أن يرقص معنا فى التيفولى..

بـــولـــين: أو تلك سياستك إذن.. أن نتقرب للمصريين بواسطة الرقص..؟

نـابليـــــون: الرقص هو التعبير البشرى الأول للحب..

بـــولـــين: هذا الأمـر يناسبنا نحن الإفـرنج.. أما هم.. فالرقص لديهم مس الأسياد ورجس من عمل الشيطان..

نـابليـــــون: سأغير هذا المفهوم لديهم.. هذا هو ما راهنت عليه.. أن يقترب الغرب من الشرق ويلتحم الضدان وينقشع الوهم..

بـــولـــين: صدقنى هذا رهان خاسر.. فى مجتمع منغلق يرفض فيه الناس التعبير عن الحب بواسطة الرقص.. فإذن لن تلقى منهم إلا البغض وكل الرفض..

نـابليـــــون: أنسيت بأن الإسكندر تلميذ أرسطو شارك فى حفلات المصريين ونشر ثقافته الإغريقية فى الشرق.. وهذا هو ما أفعله الآن..

بـــوايـــن: لا تنس أن الاسكندر عبد إله المصريين آمون..

مــــــــــاذا: ماذا يمنعنى أن أفعل هذا أيضا.. أعبد رب المصريين الآن.. بل أتزوج منهم..

بـــولــــين: تعنى تلك المصرية؟

نـابليـــــون: هى كليوباترة..

بـــولــــين: أو أسرتك إلى هذا الحد..؟

نـابليـــــون: (ضاحكا) أهى الغيرة يا بليلوت؟

بـــولــــين: ولم الغيرة وأنا واثقة من حبك لى..

نـابليـــــون: أترى حبك لى يا بليلوت المحبوبة فى نفس القدر..

بـــولــــين: يكفى أنى ضحيت بزوجى من أجلك يا جنرال..

نـابليـــــون: أنا أيضا ضحيت بجوز فين..

بـــولــــين: أرجوك.. لا وجه مقارنة بين الزوج المخدوع كزوجى وامرأتك من خانتك ومازالت مع هذا العاشق مسيو شارل..

نـابليـــــون (حزينا) من فضلك لا داعى لكلام عن جوز فين على هذا النحو..

بـــولــــين: لست أظنك تهيم بها حبا رغم خيانتها لك..

نـابليـــــون: لا أدرى بالضبط.. لكنى أثق بأنى لست أحب الآن سواك..

بـــولــــين: يبدو انك تعشقنا نحن الاثنين.. ولرب ثلاثتنا.. جوز فين وزوبة وأنا..

نـابليـــــون : أو هذا مـعقـول..؟ (ضاحكاً) أهنالك رجل يفعل هذا..
يعشق أكثر من واحدة..

بــــولــــين : الرجل الشرقى هنا يتزوج مثنى وثلاثاً ورباعاً.. وكذلك
ما امتلكت أيديهم من غلمان وجوارٍ وقيان.. يا جنرال..
لا قيمة للمرأة فى المجتمع الشرقى..

نـابليـــــون : هذا ما راهنت عليه ونذرت له نفسى لأغيره أيضاً..

بــــولــــين : صدقنى.. مادام رهانك يتعلق بالمرأة فى هذا المجتمع
الشرقى المغلق فهو رهان خاسر..

نـابليـــــون : كنت أظنك تتحازين معى من أجل المرأة وقضيتها..

بــــولــــين : لا أرغب أن أخسر معك رهانك.. وأريد رهاناً من
أجلى.. كى تكسبنى وتعوض ما قد تخسره مع خائنتك
جوزفين..

نـابليـــــون : أنسيت بأنك متزوجة من كابتن چان فور بيه..؟

بــــولــــين : بل أنت نسيت بأن الكابتن چان فور بيه ذهب ولن
يرجع أبداً.. إما أن يؤسر أو يقتل ونهايته اللاعودة فى
كل الحالات كقصة داود مع الجندى المسكين[1] .. مع
ذلك صدقنى.. تضحيتى من أجلك فاقت ما قد تخسره
من حرب كانت أو سوف تكون.. إنى أحببتك ولذلك

---

(١) أرسله للحرب طمعا فى زوجته كما ورد فى التوراة.

ضحيت بزوجى من أجلك.. أحببتك بجنون.. (تقترب منه وتكاد تعانقه - تدخل زوبة وتفاجأ بالموقف).

زويـــــة: ما شاء الله .. عشق علنى وأمام الناس.. أنسيت بأنك متزوجة يا هانم؟

بـــولـــين: ما شأنك أنت إذا كنت بمتزوجة أم لا..

زويـــــة: أولا تخجل واحدة مثلك تعشق رجلاً في غيبة زوج غائب..؟

بـــولـــين: أيضيرك هذا فى شيء؟

زويـــــة: إنى أشعر نحوك بالعار..

بـــولـــين: هذا عارى لا عارك .. وعلى كل أن يتحمل مسئولية ما يفعل..

زويـــــة: ما ذنب الزوج المسكين.. أولا تخشين على شرفه..؟

بـــولـــين: لو كان يخاف على شرفى ما قبل بأن يرحل عنى وأنا من ضحيت وسافرت لألحق به..

زويـــــة: للرجل ظروف تختلف عن المرأة..

بـــولـــين: أنا أومن بمساواة الاثنين..

زويـــــة: هذا أمر لا يعقل.. الرجل لدينا يتزوج أكثر من واحدة.. فهل تتساوى معه المرأة فى هذا الشأن وتتزوج أكثر من رجل أيضاً..

بـــولــــين: هذى مشكلتك أنت وليست مشكلتى.. أما عن نفسى فأنا أقبل أن أتزوج أكثر من رجل مادام له نفس الحق..

زويــــــــة: (مشدوهة) ماذا ..؟ هذا عهر وفجور..

بـــولــــين: (غاضبة) وقحة .. سوفاج ..

زويــــــــة: أنا وقحة ..

(تنقض عليها كالقطة الشرسة وتجذبها من شعرها ولا تملك بولين إزاء شراستها إلا أن تلوذ بالفرار صارخة بينما نابليون يصفق ضاحكاً).

زويــــــــة: أو تضحك يا سارى عسكر ..؟

نـابليـــــون: (وهو مازال يضحك) برافو زوبة.. هربت ذعراً منك كما ينسحب الجيش المهزوم..

زويــــــــة: أو لم تغضب أنى أسأت إليها فى بيتى..؟

نـابليـــــون: بالعكس.. هذا أفضل على أية حال لنكون وحيدين معاً..

زويــــــــة: ولماذا تجعلها تصطحبك فى كل مكان..

نـابليـــــون: هى من تفعل ذلك.. تأتينى وأنا مكتئب فتسرى عنى.. ماذا أفعل وهى تطاردنى..؟

زويــــــــة: أو لست تطاردها.. أو لم تتخلص من هذا الزوج المنكود لكى يخلو لكما الجو..

نـابليـــون: هى من دفعتنى كى أفعل ذلك حتى لا يكتشف علاقتها بى.. مع ذلك.. أنا لست أطارد أحـداً غـيـرك.. منذ رأيتك يا أجمل فتيات المحروسة وأنا أشعر وكأن العالم أجمل مما كان وأروع مما سوف يكون.. أشعر وكأنى أحلم حلمـا أسطورياً ليس هنالك مـا هو أعظم منه.. وكأنى الإسكندر فى معبد آمون.. أو قيصر حين تقابل مع كليوباتره فى سفح الهرم وفى هيكل إيزيس..

زويـــــــة: رباه.. لست أصدق أنك تتـحـدث عنى وإلى على هذا النحـو.. هذا أكـثر مما أتصـور.. بل يعسـر أن أفـهم مـا تعنيه..

نـابليـــون: أو لم تفهم آنستى الفرعونية ما أشعر به..؟

زويـــــــة: أفهم مـاذا..؟ قل لـى بالله عليك.. كيف لمثلى أن يفهم مـا أنت تقـول وأنا لا أفـهم أصـلاً مـاذا جـاء بكم كى تغتصبوا وطننا هو ليس لكم.. مـاذا نملك حـتى تأتوا من أقصى الغرب إلينا لتعيشوا معنا فى مـجتمع الظلمات وأنتم مـجتمع النور كما أنت تقول.. لا أدرى مـاذا جـاء بكم مع أن مـعيشتكم أفـضل منا بكثـيـر.. الأكل لديكم بالأدوات المصنوعـة.. أما نحن فمازلنا نـأكل بأصـابعنا وأظافرنا كالحيوانات.. الحرب لديكم بالبندق والبارود..

أمـا الحـرب لدينا مـازالت بالسـيف وبالنبـوت.. المرأة كـالرجل لديكم بل أحيـاناً أفـضل منه.. وإذن يا سـارى عسكر ماذا أعـجبكم فينا كى تأتوا لتعيشوا معنا فى هذا الوطن المتعوس..؟

نـابليـــــون: إنى أفـهم مـعنى مـا أنت تريـدين يا آنستى المحـزونة.. لكن فلتثقى بى.. عالمنا هذا مثل الغابة يتصـارع فيه البعض ليأخذ حق البعض.. تلك حـقيقة بل مأساة الإنسان بهذا الكون.. لكن مادام الأمـر كذلك.. مادام صراع العالم هذا شر ليس هناك مناص منه.. فعلينا أن نتسلح بالعلم وبالفكر وبالمثل العليا ليكون صراعاً مقبولاً وشريفًا ويخفف من بلواء الأطمـاع وويلات الحـرب.. هذا مـا فكرت به وأنا أتجهز بالحملة كى أغزو مصـر.. وخـصـوصًـا وأنا أعلم أنـى أغـزو وطناً هو من أعظم أوطان الدنيـا.. وطن فـراعنة كـانوا من أول من صنعوا المدنية وحـضارات الأرض.. من كـانوا أصحـاب علوم وفنون ومبادئ فجر ضمير الإنسان..

(يخرج كتاباً من بين طياته)

أترين .. هذا كتـاب أحـمله دومًـا فى صدرى.. يحكى عن تاريخ حضارة مصر وفجر ضمير الإنسان.. أتمنى

لو تتعلم آنستى المحبوبة أن تقرأ كى تعرف قيمة هذا الوطن المسكين المغلوب على أمره.. من ضيعه الحكم المتخلف والجهل..

زويـــــــــة: (وهى تأخذ الكتاب متأثرة) ما أجمل قولك هذا يا جنرال.. لكن ما جدواه وهذا زمن قد كان.. أما الآن.. لا شىء.. مجتمع معزول عن كل العالم.. يتحكم فيه الجهل ويحكمه الترك بنار وحديد باسم الدين وباسم السلطان وظل الله على الأرض..

نابليـــــون: ولهذا جئناكم لنخلصكم من محنتكم مع هذا الحكم..

زويـــــــــة: هذى هى أيضًا محنتنا معكم وأسفاه.. إذ أنتم أغراب عنا مثل الأتراك سواء بسواء..

نابليـــــون: كلا أرجوك.. لسنا مثل الأتراك.. أنا لا أقبل تشبيها بأناس كانوا سبب تخلفكم وتأخركم لقرون وقرون..

زويـــــــــة: حتى إن كنتم أفضل منهم.. أنتم أغراب عنا وغزاة.. لن نقبلكم ولسوف نحاربكم ونقاومكم.. أرأيتم ماذا حدث لأبى.. ركبته الأسياد.. ليس لشىء إلا بغضًا وكراهية فيكم.. هو يخشاكم لكن لن يقبلكم أو حتى يفهمكم.. معضلة أبى تكمن فى العجز.. هو يرفضكم فى داخله لكن يعجز أن يعلنكم هذا الرفض..

نـابلـيـــــون: كـلا يازوبة.. مـعـضلة أبيك أنا أعـرفـهـا ولدى الحل.. والدك سأجعله نقيبا للأشراف.. وأعينه فى الديوان مع الأعيان.. أو تعرف آنستى ماذا أعنى بالديوان..؟ أعنى مجلس وزراء الحكم.. هذا هو أول مجلس وزراء مصرى يحكم مصر.. منذ الأسرات الفرعونية.. هذا هو أحدث أنظمة الحكم المدنى بعالمنا الحاضر.. ليس كحكم الترك المطلق باسم الدين..

زوبـــــــة: وإذن تنوى تعيين أبى بمثابة رشوة..؟

نـابلـيـــــون: بل تلك هدية حب لأبيك ولك ولكل المصريين.. وثقى يا لؤلؤتى الفرعونية أنى أفعل هذا ولدى الأمل الأكبر فى أن تثقوا بى وبأهدافى من تلك الحملة.. إنى أطمع حقًا فى إيقاظ المصريين وعودة روح حضارة مصر الفرعونية.. لتكونوا عونى فى تحقيق الإمبراطورية والمجد الغابر فى الشرق.. هذا هو حلمى الوردى الأكبر.. فترى أتصدق لؤلؤتى المصرية حلمى هذا وتشاركنى فى تحقيق الحلم..؟

زوبـــــــة: كم أتمنى لو صدقتك يا سارى عسكر..

نـابلـيـــــون: بل قولى إنك صدقت الحلم وأن الشعب المصرى يصدقنى..

زريـــــــة: مأساتى أنى لا أملك تكذيبك يا جنرال..

نـابليـــون: يكفينى هذا تعبيراً عن حبك لى.. أو ليس كذلك..؟

زويـــــــة: الحق أقول.. لا أدرى يا جنرال.. فأنا لا أعرف كيف تكون نهاية هذا الحب وبين أهالينا بغض وكراهية وحروب آتية لا ريب..

نـابليـــون: كلا يا لؤلؤتى.. لا حرب سوى ضد الترك وضد المماليك.. أما أنتم يا مصريون.. فلستم غير ضحايا.. لا أطلب منكم إلا أن تعتنقوا مصريتكم.. الترك اعتنقوا تركيتهم.. وكذلك فعل الفرس.. لم يتخلوا عن قوميتهم.. فلماذا تنازلتم أنتم عن مصريتكم ونسيتم قوميتكم وحضارتكم.. آه لو آمنتم بى وبمصريتكم لصنعت بكم مجداً أعظم من مجد الإسكندر بكثير.. فترى هل تضعون أياديكم بيدى كى تشرق شمس الشرق على البشرية من جديد؟

إظـــلام

المشهد الثانى

(سراية نابليون بالقاهرة. بهو الاستقبال حيث الاستعداد لتنصيب السيد البقلي عضوًا بالديوان ونقيبًا للأشراف.

بارتلمي يشرف علي إعداد المكان ومعه عدد من الحراس والخدم.

يدخل محروس مصطحبًا السيد البقلي وزوجته وزوية وهما ترتديان النقاب من قمة الرأس إلي أخمص القدم)

*

محروس: حضر السيد البقلى وجماعته يا مسيو بارتلمى..

بارتلمى: (مستقبلا أهلاً بك يا سيد بقلى ..

البقلى: (عابساً) لا أهلاً ولا سهلاً.. هل أعرف ماذا تريدون..؟

بارتلمى: تعلم يا سيد بقلى أن البارى عسكر ينوى تنصيبك عضوا بالديوان ونقيباً للأشراف..

البقلى: لكنى لا أرغب فى هذا أو ذاك..

بارتلمى: عجبًا.. أو هذا جزاء السارى عسكر من خلصكم من حكم الترك وظلم المماليك ليجعلكم حكامًا أحراراً على أنفسكم..؟

البقلى: من قال بأنى أسعى كى أحكم وأحل محل الباشا من عينه الباب العالى رمز الدين وظل الله على الأرض..

بارتلمى: عجباً لك يا سيد بقلى.. أو مازلت تصدق هذا السلطان الأفاق التركى المتسربل بالدين.. يالك من رجل ساذج.. أنا لو فى وضعك هذا كنت طلبت من السارى عسكر أن يجعلنى الوالى أو ملكاً أو سلطاناً على مصر.. فكر فى مصلحتك وكذلك فى مصلحة بلادك وانتهز الفرصة قبل فوات الوقت..

(يخرج بارتلمى يتبعه محروس)

رتيبة: هذا والله كلام معقول يا زوجى.. لم لا تطلب من السارى عسكر أن يجعلك الوالى أو حتى شيخاً للبلد...

البقلى: كفى عنى جهلك يا امرأة السوء.. أمثالك مثل البقرة لا يفهم شيئاً مما يحدث..

رتيبة: بقرة.. أتشبهنى بالبقرة يا زوج البقرة.. لك حق.. من هو مثلى.. لا يمكنه أن يفهم شيئاً مثل البقرة مادمت تغطينى من رأسى حتى قدمى فى تلك الخيمة كالبدو

وتحبسنى فى البيت.. منذ تزوجتك وأنا لا أذكر يوماً
غادرت الدار سوى هذا اليوم.. ولولا السارى عسكر
طلب حضورى معك الليلة ما كنت خرجت..

(أثناء ذلك زوبة تتسلل خارجة)

البقلى: وإذن أعجبك خروجك وزيارتك لقصر السارى عسكر قائد جيش الكفرة والفجرة..

رتيبة: أعجبنى لاشك.. أشعر وكأن قيودى قد فكت وخرجت من السجن لأتنسم رائحة العالم والكون..

البقلى: أو هذا جزاء محافظتى والحرص عليك بداخل دارك كامرأة محترمة..

رتيبة: ما هذا إلا سجن ملعون.. مع ذلك فخروجى معك بتلك الخيمة يشعرنى أنى مازلت بهذا السجن..

البقلى: أيتها الفاجرة.. أتريدين خروجك سافرة متبرجة كنساء الإفرنج..

رتيبة: بل أنت الفاجر.. أهنالك فجر أكبر من أن تكتم أنفاس امرأة لا حول لها أو قوة.. أولا تشعر أنى الآن أكاد أموت وأختنق بداخل تلك الخيمة..؟

البقلى: موتى وأختنقى.. هذا هو أشرف لى من هذا الفجر..

رتيبة: (منفجرة) ألهذا الحد.. قسماً لأمزقها وأحرر نفسى منها

وليحدث ما يحدث.. (تخلع العباءة والنقاب وتقذف بهما إلى الأرض).

البقلى: أيتها المجنونة.. ماذا يقول الناس.. امرأتى تتبرج.. عودى لنقابك وإلا قتلتك..

رتيبة: اقتلنى إن شئت ولكنى لن أدخل خيمة سجنى بعد اليوم..

البقلى: وإذن أدخلك بها غصباً وحذائى على رأسك يا ملعونة.. (يحاول أن يضع عليها العباءة وهو يهددها بحذائه)

رتيبة: (تصيح وتتشنج) النجدة يا أسياد.. دستور يا أسياد.. (تدخل زوبة وقد خلعت النقاب هى الأخرى)

زوبة: ماذا بك يا أمى..

رتيبة: (وهى تتشنج) والدك المجنون يريد معارضة الأسياد.. طلبوا منى ألا أعود إلى لبس رداء الخيمة..

زوبة: كلا يا أبت.. لا يقدر أحد أن يرفض طلب الأسياد كما تعلم..

البقلى: (مغيظا) أنت كذلك يا ملعونة.. أسيادك طلبوا خلع نقابك أيضاً..؟

زوبة: هو ذلك يا أبت..

البقلى: أنت كأمك من صنف ملعون واحد.. (يلوى ذراعها)

أين نقابك يا فاجرة وأين ذهبت..؟

زويـــــة: (متألمة) عفواً يا أبت.. كنت أشاهد أبهاء القصر..

البـــقلى: سافرة الوجه وحاسرة الرأس.. يا للعار..

زويـــــة: هذا شيء أصبح عادياً يا أبت.. نصف نساء مدينتنا صرن كذلك..

البـــقلى: وإذن هو ليس كطلب الأسياد كما قلت وقالت أمك..

رتيـــبـــة: (متحفزة) بل هو طلب الأسياد وإلا قسماً عظماً لأحلت الأسياد عليك.. (تتشنج أكثر) دستور يا أسياد.. عفو وسماح يا أسياد..

البـــقلى: (مرتعباً) كفى يا رتيبة.. كفى أرجوك.. (شاعراً بالعجز) رباه.. أتمنى لو مت الآن.. لو أن الأرض انشقت وابتلعتنى كى تنقذنى من هذا العار..

زويـــــة: هدئ من روعك يا أبتاه.. لا عار ولا شيء يمس كرامتك على الإطلاق.. حق المرأة أن تصبح كالرجل تماما.. هى نصف المجتمع ولن يتقدم هذا المجتمع بنصف واحد..

البـــقلى: ما شاء الله.. أو هذا ما علمك السارى عسكر أن تبرج وسفور المرأة هو سبب تقدمهم عنا..؟

زويـــــة: لا تغضب يا أبت إن قلت بأن خروج المرأة عند الإفرنج

وحريتها هو سبب من أسباب تقدمهم بالفعل.. بل أول تلك الأسباب..

البـــقلى: أو يعجبك كلام ابنتك المجنونة هذا يا رتيبة..؟

رتيـــبـــة: يعجبنى جداً.. وإلا ماذا فعلتم أنتم يا كل رجال الشرق.. ومقاليد السلطة فى أيديكم منذ قرون.. أنتم سبب تخلفنا ومصائبنا وقلة حيلتنا.. والحق أقول فإن رجولتكم لا تتحقق إلا فى قهر المرأة منا.. أما فيما عدا ذلك لستم برجال.. صدقنى أمثالك هم من يجدر بهم لبس الطرح ولبس النسوان.. (تضع عباءتها على رأسه).

زويـــــة: (وهى تمنعها) كلا يا أمى.. هذا ليس يصح..

البـــقلى: (مطرقًا وحزيناً) أمك تنطق بالصدق لأول مرة.. هذا زمن نساء لا زمن رجال...

(صوت نفير وموسيقى عسكرية ثم يدخل نابليون وبارتلمى ومحروس وعدد من الحراس)

نابليـــون: بون سوار مسيو بقلى.. بون سوار مدام.. بون سوار مدموازيل..

(نابليون يقبل يد كل من رتيبة وزوية اللتين تبدوان سعيدتين بهذا الاحترام بينما السيد البقلى يتميز من الغيظ)

بـارتـلـمـى: (يتكلم بطريقة رسمية) سيداتى آنساتى سادتى.. نفتتح الليلة هذا الحفل الميمون .. لينصب سارى عسكر نابليون.. السيد بقلى عضواً بالديوان ونقيباً للأشراف .. فلتعزف موسيقى الحفل وتبدأ مراسيم التنصيب..

(ترتفع الموسيقى بينما يتقدم نابليون من السيد بقلى ويخلع عمامته ويضع بدلاً منها عمامة كبيرة رمز المنصب الجديد، كما يضع على كتفيه عباءة ثمينة)

نـابليـون: مبروك مسيو بقلى.. تهنئتى لك ولزملائك أعضاء الديوان.. ولسوف يسجل فى التاريخ بأن الديوان المصرى بداية أول حكم مدنى فى مصر المحروسة بعد استبداد الحكم المطلق منذ قرون..

(نابليون يشير فتبدأ موسيقى راقصة ويجذب زوبة من يدها ليراقصها على أنغام الموسيقى)

البـقلى: (جانباً لزوجته فى غيظ مكتوم) أو أعجبك الطرطور على رأسى..؟

رتيـبـة: (لتغيظه أكثر) مبروك.. هو أكبر طرطور فى القاهرة المحروسة..

البـقلى: الآن وهذا الطرطور على رأسى.. أتذكر قصة تاج جزيرة معروف الاسكافى..

رتيبة : أرفضه إن كان لديك شجاعة..؟

البقلى : (وهو يهرب من نظرتها الشامته) لك حق.. أرأيت ماذا تفعل ابنتك المتبرجة مع سارى عسكر..؟

رتيبة : ماذا تفعل..؟ ليتك تفعل أيضاً وتراقصنى..

البقلى : أيتها الملعونة ..

رتيبة : لا تشتم وحذار أن تفعل ثانية.. وإلا أحلت الأسياد وجعلونى أرقص مع سارى عسكر نفسه.. (تتشنج) دستور يا أسياد.. عفو وسماح يا أسياد..

البقلى : (راضخًا) لا تبتئسى يا رتيبة.. فأنا أعجز من أن أفعل شيئاً..

(يبتعدان إلى جـ نب من البهو)

نابليون : (وهو مازال يراقص زوبة) الواضح أنك أتقنت الرقص الإفرنجى.. من علمك الرقص الرائع هذا..؟

زوبة : لا يحتاج الإنسان ليتعلم أن يرقص يا سارى عسكر.. الزهرة والشجرة والطير وكل المخلوقات بهذا العالم يرقص.. لكن المأساة لدينا أن الرقص هنا عيب وحرام إلا فى الزار..

نابليون : حقاً.. ما رأيك أن نذهب لمكان نتحدث فيه معاً..

زوبة : ولماذا ليس هنا..؟

نابليون: أرغب أن أصبح وحدى معك لنتحدث فى الحب..

زوبة: تعنى ما تفعله مع صاحبتك بولين..؟

نابليون: كلا أرجوك.. فلست بهذا السوء.. أنا أحببتك حقًا وبصدق..

زوبة: إن كان الأمر كذلك حقاً فلتطلب أن تتزوجنى.. أو لست تصرح دوماً أنك تنوى أن تعتنق عقيدتنا..؟

نابليون: أنوى ذلك فعلا لكن ليس الآن.. إذ مازالت جوزفين الزوجة لى..

زوبة: وإذن طلقها..

نابليون: وضعى لا يسمح بطلاق وزواج فى هذا الوقت ..

زوبة: من ذا يعترض على تطليقك لامرأة خانتك كثيرا مع هذا المدعو المسيو شارل .. من يقبل لك هذا العار..؟

نابليون: (مرتبكًا) من أخبرك بهذا الأمر..؟

زوبة: يالك من زوج مخدوع يا جنرال.. العالم من حولك ليس له غير حديث خيانة زوجتك العاشقة مع هذا المسيو شارل..

(تدخل بولين فى ملابس سهرة)

بولين: (تنحنى لنابليون) بون سوار جنرال.. (لزوبة ببرود شديد) سيلفوبليه مدموزيل زوبة.. هل لى فى تلك

الرقصة يا جنرال..

زوبـــــــة : (غاضبة) ماذا جاء بك الآن هنا..؟

نـابليـــون : (ليمنع شجاراً متوقعًا) أوه لؤلؤتى المحبوبة.. معذرة سوف أراقصها وأعود إليك بلا تأخير..

(نابليون يأخذ بولين ليراقصها بعيداً عن زوبة التى تتحرك فى عصبية نحو والديها)..

البـــقلى : (ساخراً) أشعر بسعادتك بتلك المسخرة الراقصة الكبرى يا بنت رتيبة..

زوبـــــــة : هذا حفل مخصوص من أجلك وعلى شرفك يا أبت..

البـــقلى : طبعًا.. من أجل الطرطور المنصوب على رأسى.. أو ليس كذلك..

(بنبرة حازمة) هيا لنعود إلى البيت..

زوبـــــــة : كلا يا أبت.. تترك حفلاً من أجلك..؟

البـــقلى : لن أمكث فى هذا القصر بعد الآن.. هيا..

زوبـــــــة : لا يمكننى أن أخرج دون استئذان..

البـــقلى : سيكون حسابك فيما بعد.. هيا يا امرأة السوء..

(يجذب زوجته ويخرجان)

زوبـــــــة : أرجوك يا أبت.. هذا ليس يليق..

(تخرج وراءه لتستوقفه)

بـــولـــين: (وهى تراقصه) لعبتك مع تلك المصرية ليست فى صالحك يا جنرال..

نابليــون: بالعكس .. اليوم تحقق لى أكبر إنجاز.. إذ أمكننى تنصيب المسيو بقلى عضوًا بالديوان وصار نقيبًا للأشراف..

بـــولـــين: أتظن المصريين سيرضون بهذا التنصيب.. كلا.. المصريون لديهم إحساس إنك تصنع ألعاباً لن تنطلى عليهم.. تعلن أنك تعتنق عقيدتهم .. تحترم مشاعرهم وشعائرهم .. تمنحهم حريتهم وتتيح الحكم لهم بإرادتهم وبأنفسهم.. لكن ثق يا جنرال بأنك تحرث فى البحر.. المصريون جميعاً ضدك فى الباطن حتى إن قبلوا أعمالك فى الظاهر.. هم ينتظرون اللحظة كى ينقبلوا عليك بأكثر مما تتصور..

نابليــون: هذا ليس صحيحاً.. المصريون ابتدأوا يثقون بما أفعل وأقول.. يكفى أن فتاتى المصرية طلبت منى أن أتزوجها..

بـــولـــين: (مصدومة) وأنا..؟ أو لست تفكر فى..؟

نابليــون: لكلينا مشكلة يا بليلوت..

بـــولـــين: والمصرية أيضاً.. أو ليس لها مشكلة أكبر..؟

نـابلـيـــــون: كـلا .. يمكنني أن أتزوجـهـا رغم زواجي بـجـوزفين..
طبقا لعقيدتها الشرقية.. أما نحن الاثنين.. فكلانا لا
يملك أن يفعل ذلك..

بـــولـــين: بل مشكلتى منتهية.. زوجي في حكم المفقود ومن
حقي أن أتزوج.. مشكلتك أيضاً منتهية ..لو أنك
أرسلت لقاض في باريس سيحكم بطلاقك من أشهر
عاشقة خانت أشهر زوج بفرنسا.. بل أوروبا..

نـابلـيـــــون: (يضحك بمرارة) يالي من زوج مخدوع.. أصبحت
خروفاً مشهوراً بقرون على رأى فتاتى المصرية..

بـــولـــين: لا بأس .. زوجي كخروف أصبح أشهر منك..

نـابلـيـــــون: حقًا.. أو تعرف بليلوت المحبوبة أن فتاتى المصرية
أكثر عقلاً.. مع أن العمر لديها لا يعدو السادسة
عشرة.. هذا الجسد المتفجر بالرغبة والحب.. مع ذلك
رفضت أن تسلمنى إياه بدون زواج شرعى..

بـــولـــين: لست أظنك تعنى أنى أخطأت لأنى سلمتك نفسى قبل
زواجي منك..

نـابلـيـــــون: لا تنسى أن لديها تفكيراً شرقياً لا يقبل هذا الوضع..

بـــولـــين: أتراني أندم أن لدى أنا تفكيراً غربيا يا جنرال..

نـابلـيـــــون: بل كنت ألومك لو فكرت على النحو الشرقى..

بـــولـــين: وإذن كنت تلوم فتاتك لو فعلت مثلي..

نـابليـــون: بل أعشقها أكثر.. ذلك أني سأكون نجحت وحققت النصر على هذا التفكير الشرقي المغلق وبذلك أخطو خطوات واسعة في غزو الشرق وتكوين إمبراطوريتنا الشرقية..

بـــولـــين: أنت تحيرني يا جنرال.. لا أفهم هل ترغبني أم ترغب تلك المصرية أم ترغب جوزفين..

نـابليـــون: (شارداً) أنا أحلم بالحلم الأكبر.. حلم الإسكندر..

بـــولـــين: وإذن تحلم بفتاتك تلك المصرية..؟

نـابليـــون: آه لو نجحت قصة حبي تلك.. وإذن سأكون نجحت بحق وملكت الشرق.. وكأني قيصر حين تزوج كليوباترا وامتلك الحب.. وحكم الأرض من الغرب إلى الشرق..

بـــولـــين: (وقد شعرت بالغيرة) لكني لن أتركك لتصبح قيصر من أغضب روما بزواج مرفوض.. أيضاً لن أرضى أن يتآمر ضدك رفقاؤك أو يغتالوك كما اغتالوه .. إني ذاهبة يا جنرال لأحضر حاجاتي كي أسكن معك لأحميك ولن أتنازل عنك .. لا للمصرية أو جوزفين..

(تخرج بولين بينما تدخل زوبة)

زوبيـــــــة: من فـضلك يا سـارى عـسكر.. مـادمت تريد زواجى حقاً.. فإذن لا تتقابل مع تلك المرأة ثانية.. فأنا لن أقبل أن تعرف واحدة غيرى .. حتى جوزفين .. ستطلقها وستصبح لى وحدى..

نـابليـــــون: لكن عـقـيـدتكم تسـمح لى بزواج من أربع.. وجـوارِ أيضاً..

زويـــــــة: (ساخـرة) مـعـذرة إن قلت بأنك لم تفلح مع واحـدة جـعلت منك خروفاً مـشـهـوراً وبقـرنين .. مـا بالك إن كانت لك زوجات أربع وجوار أخرى.. وإذن لن تصبح كـخـروف واحـد.. بل أكـثـر بكثيـر.. وبقرون لا حـصـر لها..

نابليـــــون: (ضاحكًا) رأى لاذع.. لكنى أعترف بـحكمتك الصائبة ولا شك..

(تعود بولين فى ذعر وعلى غير توقع)

بـــولـــــين: بردون جنرال.. قد عاد الكابتن جان فورييه..

نـابليـــــون: (بدهشة) زوجك..؟ كيف ولم يكمل مدة نصف طريق الرحلة بعد..؟

بـــولـــــين: لا أدرى.. لكنى شـــاهدت الكـابتن يدخل من بـاب سرايتك مع الحراس..

زويـــــــة: عجباً.. ماذا يفزعك وزوجك قد عاد إليك..؟ من حقك أن تسعد نفسك يا سيدتى بوصول الزوج المفقود..

(يدخل جان فورييه بصحبة بعض الحراس)

حـــــارس: (معلناً) كابتن جان فورييه يا جنرال..

جـــــان: (يؤدى التحية العسكرية) بردون جنرال.. فلتسمح لى أن أذهب لأعانق محبوبة قلبى بولين..

(يندفع ليعانق بولين بشوق إلا أنها تبدو باردة)

بولين حياتى وحبيبة قلبى.. كم أنا مشتاق للقائك يا حبى..

نـابـيـلـون: ما أمرك ياكابتن جان .. لم عدت بتلك السرعة..؟

جـــــان: يؤسفنى يا جنرال أن أبلغك بأسرى على يد أسطول بريطانيا فى البحر..

نـابليـــون: أسروك..وكيف أتيت ..؟

جـــــان: الحق أقول.. هو كرم منهم لم نعهده من قبل..

نـابليـــون: كرم من أعداء فرنسا..؟ كيف ..؟

جـــــان: عوملت بكل الرقة واللطف.. وخصوصاً لما علموا أنى زوج المحبوبة بولين..

نـابليـــون: ماذا..؟ ألديهم معرفة بمدام بولين ..؟

جـــــان: كل المعرفة يا جنرال.. بل قالوا لى إنك شخصياً كنت

لها أو فى صديق فى أثناء غيابى.. ولكم مدحوا هذا لإخلاص النادر.. من جنرال مشهور.. لزوجة جندى مغمور..

زوبـــــة: (وكأنما تحدث نفسها) أو ليست تلك فضيحة..؟

نابليـــون: (متفكراً) هل قالوا لك ذلك ..؟

جـــــان: يبدو أن لديهم أجهزة جيدة للاستخبارات يا جنرال.. ولذلك عرفوا أنى استودعتك بولين لتصبح تحت رعايتك الميمونة..

نابليـــون: حسناً يا كابتن جان.. شكراً لك على أية حال ..وحمدا لله على عودتك إلينا بسلام.. والآن فلتأخذ زوجتك لتسعد معها بعد غيابك وعنائك من رحلتك الصعبة..

جـــــان: مرسى جنرال.. لا أدرى كيف أرد جميلك نحو رعايتك الطيبة لحبيبة قلبى بولين.. (ينحنى) والآن فلتأذن لى.. هيا يا محبوبة قلبى..

بـــولـــين: (معترضة) اسمع يا جان.. أنا لن أصطحبك بعد الآن.. طلقنى أرجوك..

جـــــان: (وقد فوجئ) ماذا أسمع..؟

نابليـــون: (محذراً) لا وقت لهذا يا بولين..؟

بـــولـــين: بل هذا أنسب وقت.. افهمنى يا جان.. الحق أقول بأننى

أحببت الجنرال..

جـــــــان: مـاذا يمنع يا مـحـبـوبة قلبى.. نحن جـمـيعًا أحـبـبنا الجنرال.. كل فـرنسـا رجـالا ونسـاء تعـشق وتحب الجنرال.. ما المشكلة إذن..؟

بـــولـــين: افهمنى أرجوك.. أنا أحببت الجنرال... وسنتزوج..

جـــــــان: مـاذا .. لست أصدق.. جنرال نابليون المشهور يفكر أن يتزوج زوجة جندى مغمور مثلى.. ولماذا يفعل ذلك.. كلا .. لست أصدق.. أو هذا معقول يا جنرال..؟

نـابليـــون: اسـمعنى يا كـابتن جـان.. مـسألتك مع زوجـتك أمـور شخصية.. خذها الآن إلى بيتكما لتسوى معها الأمر.. وأنا أنصح لكما ألا تصلا بالأمر إلى حد التطليق .. فهذا أمر ليس يليق.. وخصوصاً مازلنا بساحات الحرب..

زويـــــــة: (لتهدئ من الموقف) هذا رأيى أيضًا يا سيدتى.. اخزوا الشيطان ولا داعى لطلاق ليس يؤدى إلا لخراب ودمار الزوجين.. هيا يا كابتن خذ زوجتك ولا تبعد عنها بعد اليوم.. هيا..

(تدفع بهما إلى الخارج وتعود إلى نابليون)

أرأيت إذن يا سارى عسكر.. سيرتك مع المرأة وصلت حتى أعدائك فى البحر.. بل هم قصدوا إطلاق سراح

الزوج ليفجأك على هذا النحو وتفضح فى كل الدنيا..

نابليون: أفهمت إذن مغزى قصة إطلاق سراح الكابتن جان..؟

زوية: الناس جميعاً فهموها يا سارى عسكر.. لكن هذا ليس مهماً..

نابليون: أهنالك ما هو أفظع من ذلك..؟

زوية: فلتحمد ربك أن الأمر توقف حتى هذا الحد.. إذ ماذا سوف يكون الأمر إذا ما جاءت بولين لتعلن لك عن ثمرة خطئك معها وتطالبك بإصلاح الأمر.. وهى على ذمة رجل غيرك.. (وهى تشير علامة الحمل)

نابليون: (مهتماً) لا أفهم ما تعنين..؟

زوية: بل تفهم لكنك تخشى عاقبة الأمر..

نابليون: بالعكس.. إنى أتمنى أن يحدث ذلك..

زوية: تتمنى ماذا ..؟ أن تنجب من زوجة رجل آخر..؟

نابليون: إن كان الأمر كذلك.. فإذن هو ابنى بالتأكيد..

زوية: ماذا يدريك..؟

نابليون: أو لست تقولين بأن هنالك ثمرة خطأى معها..؟

زوية: عجباً.. أو تسألنى..؟ أنت الأدرى.. فلتسأل نفسك أنت.. أو فأسألها إن شئت..

نابليون: ما أسعدنى.. (صائحاً) يا جند.. يا حراس القصر..

(يسرع نحوه الحراس)

فليسرع من يحضر لى حالاً مدام بولين وكابتن جان فورييه.. هيا..

(يسرع الحراس خارجين)

زويـــــــة: (بدهشة) ما الأمر..؟

نـابليـــون: لو أن كلامك هذا كان صحيحا.. فإذن سأكون سعيدا بل أسعد رجل فى العالم..

زويـــــــة: عجبًا.. أو تسعد أنك جئت بطفل لك بطريق لا شرعى..

نـابليـــون: هو ابنى يا زوبة .. ابنى من ظهرى ومن صلبى..

زويـــــــة: بل هو ابن حرام..

نـابليـــون: لن أجعله كذلك.. إنى أمنحه الشرعية.. سأطلق جوزفين.. وأطلق بولين من الكابتن جان لأتزوجها.. كم كنت أريد لنفسى طفلاً من صلبى كى يحمل اسمى وليخلفنى من بعدى.

زويـــــــة: أو معنى هذا أنك لم تنجب من زوجتك هنالك بفرنسا.. كلا..

نـابليـــون: ألهذا كنت تفكر أن تتزوجنى كى أنجب لك..؟

زويـــــــة: لا أنكر هذا يا زوبة.. لا أنكر أنى كنت أريدك كى

نابليـــــون: أنجب منك وريثى من بعدى كما أنجب قيصر من كيلوباترا المصرية.. لكن الأقدار أرادت أن تمنحنى طفلاً من زوجة رجل آخر.. لكن لا بأس..

(تدخل بولين وجان بصحبة الحراس)

نابليـــــون: (مسرعاً نحو بولين بلهفة وهو يأخذ بيديها) بليلوت المحبوبة يا قرة عينى.. ما أسعدنى بك يا من صرت مليكة قلبى وأليفة روحى.. (صائحاً) يا حراس.. آتونى بعرش الإمبراطورة بليلوت لتجلس..

(الحراس يحملون مقعدا لتجلس عليه بولين بدهشة وهى لا تفهم معنى ما يحدث).

لو إنى أملك أن أخرج قلبى من صدرى ليكون هدية هذا الحدث الميمون إليك ما كنت توانيت.. لكنى لا أملك إلا أن أجثو حتى قدميك وأقبل ما بين يديك..

(يجثو إليها ويقبل يديها وهى تنظر إلى زوجها الواقف فى دهشة وذهول).

لم لم تخبرنى مليكة قلبى بالحمل الميمون.. أم كنت تريدين مفاجأتى بالأمر.. هو ذلك لاشك.. (ينهض إلى الكابتن جان المذهول) كابتن جان فورييه.. أنا أعلم أنك سوف تضحى التضحية الكبرى بأعز وأجمل

مخلوق عندك.. لكن ثق أنى سوف أعوضك بترقية أكبر.. بل أدفع لك ما شئت من التعويض لتطلق بيليلوت.. لتطلق بيليلوت المحبوبة من تحمل فى داخلها فلذة كبدى.. من يرث المجد ويحمل اسمى من بعدى..

جـــــان : (وهو ينظر إلى بولين مصعوقاً) أو أنت حملت من الجنرال..؟ أنا لست أصدق ...؟ أو خنت حبيبك من أنت تجشمت مخاطر رحلة حرب معه بدافع حب أسطورى كى لا يبعد أحدكما عن الآخر.. فإذا بالحب سراب وهراء.. لا أفهم أن يندثر الحب على نحو وكأن العالم محض خراب وخواء.. لم يحدث هذا بالله عليك..؟ أهنالك تفسير عندك يشرح ويبرر عبثاً يهدم كل المعنى والمنطق والعقل بهذا الكون المختل.. أيضاً لا أملك تفسيراً لخيانة حبى مع جنرال هو مثلى الأعلى لحياتى.. من أحببتك مثله.. أنا لم أحبب فى هذا العالم إلا اثنين الجنرال وأنت .. فلماذا أطعن فى ظهرى من هذين.. بالله عليكم من يفهم منكم تفسيرا ينقذ عقلى.. فليأت بتفسير للأحجيتين..

(يخرج جان فى حالة هستيرية)

نـابليـــــون: (يجثو قرب بولين) لا تحزن بليلوت المحبوبة.. سأسوى معه الأمر وأرضيه .. أما الآن فأتمنى لو أسمع صوت القادم من أحشائك من يرث المجد..

(يحاول أن يضع أذنه على بطنها)

بـــولــــين: (تنهض غاضبة) من قال بأنى أحمل فى أحشائى شيئا يا جنرال..؟

نـابليـــــون: (مصدوماً) ماذا تعنين ..؟

بـــولــــين: قد أخطأ من أخبرك بأنى أحمل منك..

نـابليـــــون: (غير مصدق) كلا يا قرة عينى.. لاشك بأنك حامل وتريدين مفاجأتى بالأمر .. أو ليس كذلك حقًا.. قولى ذلك يا بليلوت المحبوبة.. لا تدعى حلمى يتحطم أرجوك..

بـــولــــين: لا ترهق نفسك بالأمل الكاذب يا جنرال.. بردون..

(تخرج بولين مسرعة)

نـابليـــــون: (حزيناً) لم يا بولين.. لم أهزم فى معركتى عندك.. مع إنى لم أهزم قط.. أنا لم أدخل حرباً فى هذا العالم إلا وارتفعت رايات النصر.. فلماذا أهزم فى معركة هى أهون من كل معارك هذا العصر.. أهنالك معنى أيضًا يا جان.. يا من تبحث عن تفسير ينقذ عقلك ويبرر هذا

الإحباط وهذا الخسر.. آه يا أملى الضائع فى زمن الجدب.. (يكاد يتهاوى باكياً)

زوبيــــــــدة: (متأثرة) كلا أرجوك.. لا تبك بالله عليك.. لا تكسر صورة فارس أحلامى فى عينى.. (تأخذه بين يديها) لست ضعيفًا حتى تنكسر إلى هذا الحد.. وإذا كانت معضلتك أن تنجب طفلاً .. فأنا يمكننى أن أهبك هذا الطفل.. بل أهبك أطفالاً أكثر.. نحن المصريات لدينا القدرة أن ننجب مالا يحصى من أطفال.. بل حين يتم زواجك بى لن تجد لديك الوقت لكى تذهب للحرب.. وستقضى وقتك فى البيت تفض نزاعات من كثرة ما عندك من أبناء وبنات..

(فجأة تسمع صيحات هادرة وهتافات صاخبة ودقات طبول وطلقات مدافع وقنابل وبنادق.. يدخل بارتلمى فى ذعر)

بـارتـلـمـى: معذرة يا جنرال.. الوضع خطير..

نـابليـــون: (متوجساً) ما الأمر..؟

بـارتمـلـى: اندلعت فى القاهرة المحروسة ثورة..

نـابلـيـــون: أية ثورة..؟

بـارتـلـمـى: المصريون بكل طوائفهم خرجوا لمهاجمة جنود الحملة

في كل مكان بالشوم وبالنبابيب وبالبارود.. وبما تصل إليه أياديهم من أدوات التخريب أو التدمير..

نابليــــون: ما معنى هذا..؟ أيريدون محاربتى.. وأنا من قمت بتحرير المصريين من الحكم التركى المتخلف وعصور الجهل..

بــارتــلــمــى: معذرة يا جنرال.. إن قلت بألا تأمن للمصريين.. من كان يصدق محروس الشرطى التابع لى ينضم إلى الثوار..

(أصوات الثورة تقترب)

نابليــــون: خذ حذرك يا جنرال فهم يقتربون من القصر..

(صائحاً) يا حراس.. فلتطلق كل مدافعنا من فوق القلعة نحو الثورة والثوار.. (يخرج نابليون يتبعه بارتلمى والحراس، بينما يدخل السيد البقلى فى حالة رثة عارى الرأس وملابسه ملوثة بآثار الحريق تتبعه زوجته تبكى فى حالة هستيرية)

رتيبــــة: (باكية) يا لهوى يا لهوى.. يا لمصيبتنا الكبرى..

البــــقلى: اين السارى عسكر كى يعرف ما حدث لنا يا ملعونة..

زويــــة: (متوجسة) ماذا حدث يا أبت..؟

البــــقلى: قولى للملعونة بنتك ماذا حدث لنا يا امرأة السوء.. قولى إنكما سبب مصيبتنا الكبرى..

رتيبة: أنا سبب مصيبتنا الكبرى يا زوجي.. أنا من أحرقت البيت..؟

زوية: ماذا ..؟ أهنالك من حرق البيت..؟

رتيبة: الناس يا فلذة كبدي.. هم من حرقوه..

زوية: ولماذا ..؟

رتيبة: والدك أصر على أن نخرج ونعود إلى البيت ليستقبلنا غضب الناس بنار وحجارة.. سحبوا والدك المسكين وشدوا طرطور الساري عسكر وانهالوا عليه بالنبابيت.. اكشف عن ظهرك لترى بنتك آثار الضرب عليك..

البقلي: أرأيت .. أمك تشمت بي..

رتيبة: حاشا لله.. إني أحمد ربي أن ضربوك وسحبوا منك الطرطور وتركوك ولم تحرق في الدار..

البقلي: بل كنت أود أن أحرق وأموت.. هذا أهون من أن أفضح وأجرس في الطرقات وبين هتاف الناس.. يا بقلي ياوش القملة.. مين قال لك تعمل دي العملة.. أنا أصبحت أخيراً وجه القملة.. يا ويلي.. (يجهش بالبكاء)

رتيبة: فلتنزل لعنات الله على من كانوا سبب مصيبتنا..

البقلي: (من بين دموعه) أنت وابنتك المتبرجة الملعونة سبب مصيبتنا..

زوبـــــــــة : (متألمة) لا تظلمنا يا أبت أرجوك..

البـــــقلى: أمثالك أنت وأمك هن وراء مصائبنا وكوارثنا.. المرأة سبب شرور العالم وخطيئة آدم فى الأرض..

رتيـــبـــة : أولا تتق ربك فينا يا رجل..

البـــــقلى: منذ خرجتن عن الطور.. وتبرجتن تبرج أهل الإفرنج الكفرة.. والنار المشتعلة تتأجج داخل كل الناس.. والشرر الغاضب يتطاير من أعينهم حتى اشتعلت كل القاهرة المحروسة بالثورة وانفجروا فينا كالبركان.. (يبكى) أنتن اللعنة والشر..

(تقترب أصوات الثائرين وهم يصيحون صيحات الثورة ثم يظهرون حاملين البنادق والرايات والبنادق والسيوف والنبابيت والمشاعل. إنها ثورة القاهرة الأولى ضد نابليون والغزو الفرنسى.

ينتهى المشهد بحرق الثائرين للسراية ويتوهج المسرح بلهيب الحريق)

*

ستار

(الفصل الثالث)

المشهد الأول

(حرملك بيت السيد البقلى.

زوبة تجلس مكتئبة وحزينة ومعها أمها تخفف عنها)

رتيبة: لمتى يا فلذة كبدى هذا الحزن.. لمتى تبكين.. أو ما يكفي ما حدث لنا حتى كدنا نقتل حرقًا من غضب الناس علينا..

(يدخل السيد البقلى)

البقلى: أو مازالت تلك الملعونة تبكى..؟

رتيبة: أرجوك يا زوجى .. دعها تخرج لحظات لتفرج عنها ثم تعود مع الدلالة كالعادة..

البقلى: لن تخرج أبداً..

رتيبة: يا رجل .. أو لا تملك قلباً يرحم فلذة كبدك..

البقلى: (بإصرار) لن تخرج إلا للزوج أو القبر.. أفهمت يا امرأة السوء..

زوبة: (من بين دموعها) ما ذنبى يا أبت حتى تفعل بى ذلك..؟

البقلى: آه يا ملعونة.. ما حدث لنا بل ما حدث لكل مدينتنا كان بسببك أنت.. سيرتك المشبوهة مع سارى عسكر صارت على كل لسان..

رتيبة: أهنالك رجل يقبل ترديد إشاعات كاذبة عن ابنته المسكينة..

البقلى: ليست إشاعات يا امرأة السوء..

رتيبة: بل إنك رجل السوء بعينه.. أو لا تعرف أن الناس لديهم أيضاً شائعة كاذبة عنك..

البقلى: (مستنكراً) عنى...؟

رتيبة: أولم تسمع أنك بعت ابنتك لسارى عسكر كى يجعلك نقيباً للأشراف وعضواً بالديوان..

البقلى: (محتداً) هذا كذب وهراء..

رتيبة: وإذن فلماذا صدقت الكذب على ابنتك المسكينة..؟

البقلى: ماذا تعنين..؟

رتيبة: أعنى ألا تستمع لأحد يتكلم عنك وعن ابنتك وعنى بالسوء.. ما دمنا لا نفعل إلا ما يرضى ضمائرنا ..

البقلى: وإذن ماذا نفعل إن كنا لا نرضى الناس..؟

زوبة: دعك من الناس الآن يا أبت.. مازال الناس يعيشون عصور الظلمة والجهل وأعينهم مغمضة عن كل جديد..

البقلى: ما شاء الله.. أى جديد تعنين.. تلك البدع الضالة عند الحكام الإفرنج الكفرة..

زوبة: يا أبت.. علم وعدل الحكام الإفرنج الكفرة أفضل قطعًا من جهل وظلم الحكام الترك..

البقلى: أرأيت ابنتك الملعونة.. تهوى حكم الإفرنج وتعشقهم..

زوبة: أرجوك بأن تفهمنى يا أبت.. الحملة صدمتنا وأزاحت عن كاهلنا حكم قرون الظلمة والظلم.. جعلتنا نستيقظ وعلينا أن ننفض عنا إرث السنوات المثقلة بكل صنوف الجهل.. أو لم تلحظ أن الإفرنج لديهم علم ومعارف عن كل الأشياء.. يكفى أن المرأة فيهم تتعلم من كل صنوف المعرفة ومختلف العلم..

البقلى: أسمعت ابنتك المجنونة من تسعى أن تتعلم مثل مشايخنا

العلماء.. لم يبق لها إلا أن تطلب لتدرس فى الأزهر..

رتيبة: عجبًا لك يا رجل.. ولماذا لا نتعلم نحن النسوة أيضًا.. أم أن العلم لديكم أصبح حكرًا لرجال الأزهر..؟

البقلى: ما شاء الله .. أنت كذلك يا امرأتى المأفونة..

رتيبة: كم كنت لأتمنى أن أتعلم كى أعرف ماذا أنت فعلت بميراث أبى..

البقلى: أيتها الحمقاء.. أتشكين بأمرى..؟

زوبة: هذا ليس بشك يا أبت. أمى لها حق فى أن تتعلم كى تعرف..

البقلى: سخف وهراء.. أنا أعلم أن الأفكار الشيطانية بدأت تتسلل كالأوبئة إليكن منذ وصول الحملة.. كنتن كقطط مغمضة الأعين حتى وصلتكن القيم الفاضحة وغزتكن البدع الضالة.. وجعلتكن تفتحن الأعين لترون شرور العالم.. لكنى أبشركن.. فنهاية حملة نابليون قد اقتربت.. حملته للشام وعكا باءت بالفشل الأكبر.. سيرجع منتكس الرأس يجر هزيمته المرة.. فهنيئا لى ولكن جميعاً يا نسوة مصر..

(يخرج ضاحكاً متشفياً فيهما)

زوبة: (متوجسة) ماذا حدث لسارى عسكر يا أماه..؟

رتيبة: ما أدراني بسارى عسكر هذا.. منذ حريق الدار المشئوم ولم أخرج مثلك أو أعرف ما يجرى فى العالم من حولى و كأنا نحيا فى القبر..

(تدخل دلال الدلالة تحمل صرتها)

دلال: العافية عليكم يا أهل الدار..

رتيبة: ها قد جاءت من تحمل لك كل الأخبار..

(تخرج رتيبة)

زوبة: (بشغف) ما أخبار السارى عسكر يا دلال.. أو حقًا باءت حملته بالفشل على الشام..

دلال: هذا حق يا سيدتى.. ويقال بأن هزيمته أكبر فشل فى الشرق.. ولذلك عاد حزيناً مقهوراً ودموع الحسرة تملأ عينيه..

زوبة: أو أنت رأيت السارى عسكر..؟

دلال: كلا يا سيدتى.. تلك روايات أناس جاءوا اليوم من الشام..

زوبة: ما أقسى أن يشعر رجل بالفشل وبالذات كهذا السارى عسكر..

دلال: لا تخشى شيئًا يا سيدتى.. أمثال السارى عسكر هذا مثل القطط بسبعة أرواح.. معذرة عن هذا القول.. أنا

أعلم كم يتعلق قلبك بالسارى عسكر.. لكنى أنصحك بأن تبتعدى عنه.. أو لم تعلم سيدتى أن الإفرنجية إياها تنوى أن تتزوج منه...؟

زويـــــــة: (بدهشة) بولين..؟ لكن الكابتن جان رفض التطليق..

دلال : ولذلك هى من فعلت ذلك..

زويـــــــة: مـــاذا ..؟ كـيف يكون طلاق هو حق الرجل وليس المرأة..؟

دلال : هذا الأمر لدينا نحن فقط.. المرأة كحذاء فى قدم الرجل هنا يمكنه أن يخلعه حين يشاء وكيف يشاء.. أما الإفرنجية تلك فقد رفعت فى المحكمة قضية تطليق منه وكسبتها.. وهى الآن على جمر تنتظر السارى عسكر كى يتزوجها..

زويـــــــة: (حزينة) لا لن يتزوجها. .لا أعتقد بذلك..

دلال : يا سيدتى.. أنصحك بأن تدعى السارى عسكر وحكايته معك..

زويـــــــة: لا أملك ذلك يا دلال.. قلبى قد أصبح ملكاً له.. أحياناً كنت أحدث نفسى وأقول.. أنا لا يجدر أن أرتبط برجل كالسارى عسكر هذا.. لا هو منا أو من ملتنا.. بل جاء كمحتل لأراضينا.. إلا أنى أتساءل .. هو لم يفعل أسوأ

مما فعل الترك بنا خلفاء الدنيا والدين.. بل هو أفضل منهم بالتأكيد.. يكفى أن أيقظنا وأعاد الوعى المفقود إلينا.. وعلى رأى المثل القائل.. هم كدواء مر أو كالضرر النافع..

دلال : حتى إن كان الأمر كذلك يا سيدتى .. أنا لا اتصور أن ترتبطى بالسارى عسكر هذا.. والدك وقومك لن يدعوك.. أنسيت ما قد فعل الناس بكم فى ثورتهم ضد الحملة .. لا يا سيدتى.. وضعك ـ وخصوصاً كامرأة ـ شائك.. بل أكثر من شائك..

زوية : ولماذا لا أتزوجه مثل زبيدة بنت رشيد.. أو لم تتزوج جنرالا[1] منهم وأتته بطفل أسمته سليمان.. إنى أتمنى أن أنجب للسارى عسكر طفلاً مثله.. هذا حلم لكلينا نحن الاثنين.. فلماذا نجهض هذا الحلم..؟ (ترتفع أصوات النفير والطبول العسكرية)

دلال : يبدو أن السارى عسكر وصل من الشام.. قالوا قد يصل الآن..

زوية : وإذن فخذينى إليه..

دلال : كلا أرجوك.. لو علم أبوك بذلك..

(١) الجنرال مينو الذى أسلم وتزوج زبيدة.

زوبـــــــــة : (بإصرار) لن يعلم.. نتخفى كالعادة..

(تأخذ صرتها وتخرج منها عباءة ونقاباً يخفيها من قمة رأسها إلى أخمص قدمها)

دلال : استر يارب..

(تتسلان خارجتين)

إظـلام

المشهد الثانى

(ساحة واسعة مزدانة بأقواس النصر حيث يصطف الجنود وعازفو الموسيقى العسكرية والطبول والأبواق فى استقبال نابليون بونابرت عائداً من حملة الشام)

*

نابليــــون: (يقف على المنصة خطيباً) يا جند فرنسا الثورة.. يا جند الجمهورية.. أشكركم يا جندى الشجعان على ما قد قدمتم من تضحيات فى حملتنا بالشام.. وإذا لم يكن الحظ يحالفكم فى تلك المرة.. فلسوف يحالفكم فى المرات القادمة بإذن الله.. لتكونوا أبطالاً وقت المحنة.. كما كنتم دوماً أبطالاً فى لحظات النصر..



الجـــنــــود: (هاتفين) عاش نابليون.. عاش نابليون..

(يستمر الاستعراض العسكرى الفخم - تدخل بولين من جهة اليمين بينما تدخل فى نفس الوقت زوبة من جهة اليسار وتخلع عباءتها ونقابها - نابليون يقف مرحبًا ومادًا يديه إلى كل منهما فى آن واحد. حينما ترى كل منهما الأخرى تتوقف عن التقدم وترمق كل منهما الأخرى شزرًا. إنها لحظة الصراع البدائية بين امرأتين من أجل رجل واحد)

زوبــــــــة: (متنمرة) ثانية أنت..؟

بـــولـــين: ما شأنك بى أيتها الطفلة..؟

زوبــــــــة: عودى لزوجك أيتها المرأة..

بـــولـــين: طلقت..

زوبــــــــة: عار ما أنت فعلت بزوج طيب..

بـــولـــين: هو لك إن شئت..

زوبــــــــة: وقحة..

بـــولـــين: سوفاج..

(تكاد تشتبك كل منهما بالأخرى إلا أن نابليون يتدخل ويحول بينهما)

نابليـــــون: كلا، لا يجب بأن يصل الأمر إلى هذا الحد.. بولين..

أرجوك دعينى الآن .. ولنتكلم فيما بعد..

بـــولـــين: حسناً.. أتركك للحظات يا جنرال..

(بولين تبتعد)

زويـــــــة: لم لا تطرد تلك المرأة من فضحتك بكل مكان..

نـابليـــون: مـهلاً يا زوية.. أو هذا وقت حـساب وعـتـاب.. أو لا تعرف لؤلؤتى المحبوبة ما أنا فيه من الأحزان..

زويـــــــة: أعرف يا حبيبى.. كم أشعر مثلك بالألم وبالحزن وأكثر منك..

نـابليـــون: (حـزينا) أول حـرب أهزم فـيـهـا وبعنف.. مـا كنت لأتصور أن يحدث لى ذلك وخصوصاً فى الشرق..

زويـــــــة: لا تقلق أرجـوك..أن تهزم أو تنتصر فـهذان الوجـهان لشىء تـعرفـه تمامًا وهو الحـرب.. تلك الأيام نداولها بين الناس.. لك يوم وعليك الآخر..

نـابليـــون: لك حق.. أشكرك على تلك الكلمات الطيـبة من القلب إلى القلب..

زويـــــــة: دعنا من أمر الحـرب وحـدثنى عن شىء آخر يبـعدك عن الحزن..

نـابليـــون: وإذن أتحدث عنك.. كم كنت بشوق أن ألقاك واستمع إليك..

زويـــــــة: أنا أكثر شوقاً منك إليك.. ولكن..

نـابليـــون: (متوجساً) لكن ماذا.. أشعر وكأن بقلبك بعض الحزن..

زويـــــــة: ذلك أنى أشعر بالذنب وبالخوف.. أحببتك لكن العالم من حولى يستنكر هذا الحب.. أو تعرف أحياناً أبتهل إلى الله بصلواتى كى يمنحنى بغضاً فى قلبى نحوك.. أتمنى لو كنت كباقى قومى أحمل سخطاً وكراهية لك.. لكن الحب بقلبى يزداد لهيباً كالنار المشتعلة كالبركان.. دبرنى بالله عليك.. ماذا أفعل حتى أتخلص منك ومن حبى لك.. أفعل شيئا حتى أمقتك وأبعد عنك..

نـابليـــون: كلا أرجوك.. لا ينطق فمك الحلو بهذا القول.. أنا حقًا أعرف أن الحرب تمثل بالنسبة لى هدف حياتى.. لكن الحق أقول.. حبك هو ما يعطينى المعنى والمغزى لهذا الهدف المنشود.. بل لا معنى للعالم عندى الآن ولا معنى للحرب أو النصر أو المجد إذا ما كنت سأفقد هذا الحب المأمول.. كلا يا محبوبة قلبى.. من واجبنا أن ينمو هذا الحب ويزدهر برغم الإحباط ورغم الخسر..

زويـــــــة: (فى يأس) كيف ولا أمل هنا فى هذا الحب.. كيف..؟

نـابليـــون: لا تبتئسى يا قرة عينى.. مشكلتك هى مشكلة المرأة فى الشرق.. وثقى يا لؤلؤتى المصرية. .لو نجحت قصة

حبك لى لتغير وجه الشرق.. إذ أن المفتاح السحرى لكى يتقدم هذا الشرق.. هو رهن بحقوق المرأة فى أن تشعر بالحرية والحب بحق.. كالرجل سواء بسواء وتمارس هذا الحق..

(يدخل بارتلمى وبيده رسالة)

بارتلمى: (وهو يحيي التحية العسكرية) بردون جنرال.. رسالة سرية من فرنسا.. (يعطيه الرسالة ويخرج)

نابليون: (وهو يفض الرسالة ويقرأها شارداً) يا إلهى..

زوية: (متوجسة) ما الأمر..؟

نابليون: يتحتم أن أرجع لفرنسا..

زوية: (منزعجة) ترجع لفرنسا..؟ ولماذا..؟

نابليون: أحوال الوطن هناك تحتم أن أرجع حالاً..

زوية: كلا.. لا تزعم أنك تنوى أن ترحل فعلاً..

نابليون: أنت ستأتين معى..

زوية: دون زواج..؟

نابليون: نتزوج فى فرنسا..

زوية: ولماذا ليس بمصر..؟

نابليون: أو لست على ثقة منى..؟

زوية: سيقولون بأنى سافرت لأهرب من عارى..

نـابليـــــون: ماذا تخشين ونحن سنتزوج..؟

زوبــــــــة: أنتظرك حتى ترجع..

نـابليـــــون: قد لا أرجع..

زوبــــــــة: ولماذا..؟ منذ قليل قلت بأن الشرق سيتقدم إن نجحت قصة حبى لك..

نـابليـــــون: أصدقك القول.. أشعر أنى أحببتك..

زوبــــــــة: أبسبب هزيمتك بعكا..؟

نـابليـــــون: مشكلتى ليست عكا والشام..

زوبــــــــة: وإذن ماذا..؟

نـابليـــــون: مشكلتى مصر . فى المصريين وبالتحديد.. من قاموا بالثورة ضدى . من حرقوا دار أبيك وأهانوه ومسحوا بكرامتـه الأرض.. من رفضوا حبى لك.. أولست تقولين بأن العالم من حولك يستنكر هذا الحب.. وتقولين بأنك تخشين السفر معى كي لا يتهمونك بالعار.. ماذا يبقى لى فى مصر الآن..؟ حاولت كثيراً أن أفعل شيئاً من أجل المصريين.. لأحررهم من حكم تركى أسود عانوا منه كثيراً منذ قرون مع ذلك وقفوا معهم ضدى.. قد أفهم موقفهم منى.. لكنى لا أفهم أن يقفوا مع من كانوا سبب تعاستهم وتخلفهم.. هذا ما لم

أفهمه ولم أعقله بعد..

زوبـــــة: قومي مازالوا جهلاء وتعساء ويحتاجون لمن يكشف عنهم كل غشاوات الماضى الأسود.. أو لم تزعم أنك قد جئت تغير هذا الوضع..

نابليـــون: حاولت كثيراً أن أفعل ذلك بل أكثر.. لم يحدث فى تاريخ العالم من جاء بحشد ضخم من علماء وأدباء وفنانين وخبراء مثلى.. مع ذلك قومك هم من دمر أدوات ومختبرات ومجهودات العلماء العلمية والفنية وبلا تمييز أو تفكير.. وقفوا ضد المنطق والعقل..

زوبـــــة: أعذرهم يا سارى عسكر.. صعب أن يتغير قوم عاشوا فى الجهل قروناً فى عدة أشهر..

نابليـــون: كلا يا زوبة.. قومك من عاشوا فى ظل الفرس المحتلين.. هم من مدوا يدهم للإسكندر ليخلصهم من حكم الفرس.. فلماذا وقفوا ضدى مع أنى لست أقل من الإسكندر.. أو قولى لست بهمجى أو تترى يحرق ويدمر ما تصل إليه يداه.. إنى جئت وأحمل فكر فرنسا الثورة والحرية.. روسو وفولتير.. مثل الإسكندر حامل فكر أرسطو وفلاسفة الإغريق.. مع ذلك لم ألق منهم غير البغض وكل الرفض..

زويـــــــة: (حزينة) أنا أشعر أنك مثلى محبط.. لكن أو ليس هناك أمل..؟

نـابليـــون: لا عـيش لمثلى فى وطن يرفـضنى ويحـاربنى.. أنت كـذلك يا زوبة.. ليس لمثلك أن يحـيـا وسط كـراهيـة ومشاعر جاهلة لا تفهم كنه دوافعك الإنسانية نحوى.. ولذلك ليس أمامك إلا أن أصحبك معى لفرنسا الحرية والعقل..

زويـــــــة: هل أترك أهلى.. أمى وأبى.. أترك وطنى.. مـصـر المحـروسة.. من أيقظت بقلبى الوعى بها وبقيمتـها وحضارتها..؟

نـابليـــون: أنا أيضـاً كنت تركت الوطن وكل الأهل وكنت على استعداد كى أحيا معك هنا .. بل فى أى مكان فى العالم تختارين..

زويـــــــة: هذا قدرك أنت.. أن تحيا فى أى مكان فى العالم.. إذ أنك رجل الأقدار.. أمـا قـدرى فـأنا لا أملك أن أقتلع جذورى وأعيش بعيداً عن قومى التعساء..

نـابليـــون: قومك ضدك..

زويـــــــة: قدرى ألا أحيا إلا معهم .. إما أن أرضى بالأمر الواقع وأعيش كما عاشوا من قبل.. أو تحدث معجزة يتغير

فيها قومي ويعيشون كما أتمنى أو أحلم من بعد..

نابليون: لن يحدث هذا أو ذاك.. لن ترضى بالأمر الواقع.. وكذلك لن يتغير قومك في لحظات.. ولسوف تكونين ضحية هذا الوضع الصعب..

زوبة: يكفيني أني أحببتك وبصدق.. يكفيني أنك أيقظت بقلبي أجمل لحظات الشوق .. ووضعت بصدري حلمًا ورديًا يجعلني أتفاءل بالغد.. أهنالك أجمل من أن تترك في قلبي هذا الحب الغامر كالفيض.. مع أنك قد تمضي لا تذكر عني شيئًا بعد..؟

نابليون: كلا يا زوبة .. أنا لا يمكن أن أنسى هذا الوجه النوراني وهذا القلب.. أكره نفسي لو كنت لأجرؤ أن أنساك وتلحقني لعنات الرب..

زوبة: كلا أرجوك .. أنا لست أريدك أن تتألم من أجلي.. فلتنس ما قد كان.. انس هذا الحب.. هذا الحب أتانا في الزمن الصعب.. لو أنك جئت لنا منذ قرون في عصر مزدهر كالإسكندر .. أو أني جئت أنا فيما بعد بقرن أو قرنين أو أكثر.. ما كنا نصل إلى هذا الوضع.. مأساتي ومأساتك أنا جئنا في زمن يفصلني قسرًا عنك بأكثر من قرن وكأني من أصحاب الكهف.. وعلى كل منا

أن يذهب من حيث أتى.. أن أذهب للماضى أنا من حيث أتيت.. وستذهب للمستقبل أنت.. فمحال أن يجمعنا لقاء فى هذا الوقت (والدموع تنهمر من عينيها) هذا حب مفقود منكود.. محكوم بالوأد..

(تخرج زوبة قبل أن تنهار فى البكاء بينما تدخل بولين)

نابليون: (يحاول أن يستوقف زوبة) انتظرى أرجوك..

بولين: لست أظنك مازلت تؤملها بالحب..؟

نابليون: أتظنين بأنى أخدعها..؟

بولين: أعلم أنك ترغب أن تتزوجها كى تنجب منها ولى العهد .. لكن ثق أنك لن تنجب منها قط..

نابليون: كما لم أنجب منك..؟

بولين: أو من جوز فين..

نابليون: ماذا تعنين..؟

بولين: أعنى أنك تحرث فى البحر.. كنت تؤمل أن تنجب من جوزفين فلم تفلح.. وأنا أيضًا لم أنجب لك.. وإذن لا جدوى أن تسعى خلف المصرية تلك.. أنت عقيم لن تنجب أبداً ياجنرال..

نابليون: (وقد فوجئ بصراحتها) كلا يا بولين.. أنا لا يمكن أن

أصبح كالأرض الجدب بلا ثمر أو ذكر..

بـــولـــين: يكفى ذكراك الأمجاد الباقية على مجرى تاريخ العالم يا جنرال..

نـابليـــون: كلا.. هذا لن يحدث بالقطع.. لا يمكن أن أصبح دون وريث للمجد..

بـــولـــين: أنا أعلم أنى قاسية حين أصارحك بهذا الأمر.. لكن ثق أنى أفعل ذلك حبًا لك .. وحتى تستيقظ من أوهامك فى حب المصرية تلك.. هذا الحب الوهم..

نـابليـــون: حبى للمصرية حب صادق يا بولين وليس بوهم..

بـــولـــين: بل هو أكبر أوهامك.. كنت تظن المصريين أحبوك لأن فتاة منهم وقعت فى حبك وغرامك.. لكنك ها أنت عرفت حقيقة موقفهم منك.. وعليك بأن تخرج من أوهامك فى حب فتاتك كخروجك من وهمك فى حب المصريين .. صدقنى يا جنرال .. ما دمت فقدت الأمل بحلم الشرق.. فعليك العودة كى تحلم حلمًا آخر ليس هنا.. لكن فى الغرب..

نـابليـــون: (حزينا) أنت على حق يا بولين.. ما عاد بمقدورى أن أحلم حلم الشرق.. لكنى أشعر نحو المصرية بالذنب وبالحزن.. من سوف تكون ضحية هذا الحلم .. ما

يؤلمنى أكثر أنى أهرب من ساحة معركة واجبة كان الشرف يحتم أن أقف بجانبها لأساعدها وأعضدها.. وخصوصًا وأنا أعلم كم هى مقبلة نحو المحنة والمأساة بلا ريب.. رباه.. أتراها تغفر لى.. لا لست أظن.. هذا ذنب هو أكبر من كل الغفران وعار لا يمحقه إلا الموت..

....

إظلام

المشهد الثالث

(حرملك بيت السيد البقلى.

زوبة ترتدى فستانًا أنيقًا يشبه زى أميرة فرعونية وتصفف شعرها بطريقة حديثة وهى تستعرض نفسها فى خطوات راقصة أمام المرآة وأمها تتأملها معجبة)

*

رتيبة: ما أجملك بهذا الزى الرائع يا فلذة كبدى. وما أجمل تلك التسريحة وكأن على رأسك تاج من جوهر.. لكن يا ابنة قلبى ما جدوى هذا الزى ونحن النسوة لانجرؤ أن نخرج من غير حجاب ونقاب.. من غير الخيمة تخفينا من أعلانا حتى أسفلنا.. هذا إن كان لنا تصريح بخروج أصلاً..

زويـــــة: أو مازال أبى يغلق باب الدار علينا..؟

(يدخل السيد البقلى وبيده عصاه)

البقلى: بالضبة والمفتاح وبالجنزير.. لن ترى السوق أو الشارع أبداً.. يا بنت رتيبة بعد الآن..

زويـــــة: لا تقلق يا أبت.. ما عدت لأرغب أن أخرج للشارع والسوق..

البقلى: طبعًا.. ما عاد لديك الدافع لخروج منذ رحيل السارى عسكر لعنات الله عليه..

رتيبة: تلعنه الآن وفى غيبته مع إنك كنت تقبل ما بين يديه كأنك عبد مملوك..

البقلى: كفى يا امرأة السوء.. أظننتن بأن السارى عسكر باقٍ يا نسوة مصر لكى تخرجن وتتبرجن بغير حياء كنساء الإفرنج.. (لابنته) وأنت كذلك أيتها الملعونة. .لم عرقصة الشعر المكشوف وهذا الفستان الإفرنجى الملعون..

رتيبة: ما أغرب شأنك يا رجل.. أو تمنع بنتك أن تلبس أو تتزين وهى بداخل هذا السجن.. ماذا تنوى أن تفعل بابنتك المسكينة أكثر من هذا القهر..

البقلى: قد سبق ونبهت عليكن بألا تتشبهن وتلبسن ملابس

الإفرنج الكفرة..

زوبـــــــة: ليست تلك ملابس الإفرنج يا أبت.. هذا لبس المصريين زمان..

(تتناول كتاباً وتفتحه)

البـــــقلى: اللعنة. . أو هذا كتاب السارى عسكر من أهداه إليك؟

زوبـــــــة: هذا كتاب عن مصر الفرعونية.. وهذه صور الفتيات المصريات.. انظر لملابسهن بهذا العصر.. انظر تسريحات الشعر.. يتزين ويلبسن فساتين وليس حجاباً ونقاباً وعباءات كالخيمة. .لم يحبسن بداخل سجن حرملك أو يمنعن ويقهرن.. يخرجن إلى شاطئ نهر النيل يغنين ويرقصن ويلعبن.. أيضاً يخرجن ليعملن كما يعمل باقى الناس بلا فرق بين رجال ونساء.. هذا هو حق المرأة فى مصر قديماً فلماذا نحرم منه الآن..؟

البـــــقلى: أو هذا ما أدخله سارى عسكر فى ذهنك أيتها المعتوهة..

زوبـــــــة: لا يا أبت.. تلك حضارة مصر المرسومة والمحفورة والمنحوتة فى الصخر.. حقًا علماء الحملة هم من كشفوها.. لكن علينا أن نتعلم منهم ونفكر فى الأمر..

البـــــقلى: ماذا نتعلم يا فاسدة العقل.. نترك أزياء عقيدتنا ومبادئنا

كى نتعلم أن نتبرج مثل الكفرة والإفرنج..

زويبة: ليست تلك بأزياء عقيدتنا ومبادئنا.. بل هى أزياء الترك وسكان الصحراء البدو.. فرضوها علينا بحكم السيطرة والاستبداد وحكم الغزو.. والآن علينا أن نفهم مصريتنا ونعود إلى ما كان عليه الوضع..

رتيبة: (سعيدة برأى ابنتها) فتح الله عليك يا ابنتنا.. افهم وتعلم يا زوجى.. افهم بالله عليك وكف عن الجهل وتفكير البدو..

البقلى: أنا لا أفهم إلا أن النسوة فى مصر أصابتهن اللوثه منذ مجىء الحملة وخرجن عن الطور.. لذلك لن ينفع معهن سوى الشدة والعنف..

(يجرى وراء زوجته بالعصا)

رتيبة: النجدة يا خلق .. النجدة يا هووه...

(تدخل دلال الدلالة)

دلال: خيرا يا سيدتى.. رفقا يا سيد بقلى..

البقلى: (وهو مازال يطارد زوجته بالعصا) ابتعدى يا دلالة.. سوف أؤدب تلك الملعونة..

دلال: (لتهدئه) اسمعنى يا سيد بقلى.. عندى لك أخبار هامة.. الحملة ترحل عن مصر.. والترك على الأبواب..

البقلى: (يتوقف مهتمًا) ماذا قلت..؟ الحملة ترحل عن مصر..؟

دلال : والترك على الأبواب.

البقلى: (سعيداً) حمداً لله.. حمداً لله على كشف الغمة والهم..

(ينسى نفسه ويرقص بالعصا سعيداً)

رتيبة: أرأيتم.. زوجى يتراقص مثل غوازى المولد..

البقلى: (وهو يكيد فيها) خرج الإفرنج ودخل الترك أخيراً يا رتيبة.. والله لسوف تعدن إلى سجن حر ملككن كما كنتن يا نسوة مصر.. أين عصاتى.. لأقود النسوة كالأغنام..

(يطارد رتيبة بالعصا)

رتيبة: (صارخة) يا لهوى يا لهوى.. الرجل أصابته اللوثة..

(تخرج هاربة وهو يطاردها بعصاه)

زوبة: أو خرجوا حقاً يا دلال..؟

دلال : أو كنت تظنين بقاء الحملة بعد رحيل السارى عسكر يا سيدتى..؟

زوبة: ما فائدة خروج الحملة والعودة للترك..

دلال : غضى من صوتك يا سيدتى وإلا سمعتك الجدران.. فالترك على الأبواب..

زويـــــــــة: الترك على الأبواب وتلك مصيبتنا.. سنعود كما كنا نحكم كقطيع من أغنام أو أبقار.. لنعيش كما كنا في عصر مات.. عصر البدو وجدب الفكر وسكان الصحراء.. ياضيعة مصر وضيعتنا.. يا ضيعة عصر آتٍ..

(تنهار باكية بين يدى دلال)

دلال : (وهى تربت عليها بحنان) رفقًا بك يا سيدتى.. أنا أعلم ما ينتابك من حزن حين تعاودك الذكرى.. أعلم أنك مازلت تحبينه.. لكنى أصدقك القول.. هو لا يستأهل منك الحب. . مادام تخلى عنك وسافر حتى دون وداعٍ.. انسى هذا السارى عسكر يا سيدتى .. انسى أرجوك..

زويـــــــــة: من قال بأنى أتذكره يا دلال .. ما عدت لأتذكر شيئًا عنه.. حب السارى عسكر كان مجرد حلم ذهب مع الريح.. لم يبق منه معى غير كتاب عن وطنى مصر.. (تمسك بالكتاب) وطنى الضائع مثلى والفردوس المفقود.

(فجأة تسمع ضجة كبيرة وطبول مفزعة)

دلال : يا لهوى .. وصل الأتراك وصول الهم على القلب.. لم

نهنأ بعد بعيداً عنهم إلا بثلاث سنين فقط (تخفض صوتها) لعنات الله عليهم.. آمين يا رب العالمين..

(يدخل السيد البقلى وزوجته فى حالة فزع)

رتيبة: (مولولة) يا خفى الألطاف نجنا مما نخاف..

البقلى: هذا ما كنت توجست.. ألطف يارب..

زوبة: (وهى تكفكف دموعها) ماذا فى الأمر.. هل حرقوا الدار..؟

البقلى: ليت الأمر كذلك أيتها التعسة..

زوبة: ما الأمر إذن..؟

البقلى: الترك يريدون القبض عليك..

دلال: استر يارب.

رتيبة: احذر أن تسلمهم ابنتك المسكينة.. هذا ظلم..

البقلى: لا تعترضى وإلا أخذونا أيضًا: لا حول ولا قوة إلا بالله..

(تقترب الأصوات والطبول المفزعة ثم يدخل عسكر الترك وهم يطبقون على المكان كالوحوش الضارية ويقبضون على زوبة المستسلمة بين بكاء وعويل الأم والأب ودلال - أثناء ذلك يسمع منادى الوالى كأنه النذير)

صوت المنادى: يا أهل القاهرة المحروسة.. إعلان هام لجميع رعايا
الترك وسلطان الإسلام..
الآن وقد عم السلام بخروج الإفرنج الكفرة من أرض
السلطان.. يعلن الوالى إلى كل الحريم والنسوان..
الرضيعات منهن والبالغات.. خروج المرأة حرام ..
وجه المرأة حرام.. شعر المرأة حرام.. صوت المرأة
حرام.. تعليم المرأة حرام.. غناء المرأة جرام.. رقص
المرأة حرام.. وكل من يخالف ذلك الحرام.. يعد مرتداً
عن ملة الإسلام.. وكافرا يستحق الموت والإعدام..
والسلام ختام..
(يتكرر الإعلان ويبتعد رويداً رويداً)
....

إظلام

المشهد الرابع

(قلعة صلاح الدين بالقاهرة.

قاعة مقر الحكم التركى بالقلعة حيث تعقد محاكمة زوبة بحضور الوالى والقاضى والحراس وعدد من الأتراك المتعصبين من ذوى اللحى الكثيفة السوداء والجلاليب البيضاء.

فى جانب آخر يظهر السيد البقلى منكس الرأس ويجانبه زوجته رتيبة منقبة تماماً وهى تبكى بحرقة)

*

الأتـــــــراك: (صائحين بغضب) فاجرة كافرة عاهرة ملعونة..

رتيـــــبــــة: (فى جزع)الرحمة يا ناس.. الشفقة يا هوه..

البـــــقلى: (محذرا فى همس) غضى من صوتك لا داعى لاستفزاز الوالى..

رتيبة: (من بين دموعها) أو لم تسمعهم يتهمون ابنتنا المسكينة في الدين وفى العرض..

البقلى: صبراً. فالقاضى لم يبدأ بعد..

القاضى: (وهو يطرق بالمطرقة) فلنهدأ يا حضرات.. فلنهدأ يا إخوان.. باسم الله وباسم السلطان العثمانى ظل الله على الأرض نعلن فتح الجلسة بالدعوى المرفوعة من مولانا الوالي.. دعوى الحسبة والقائمة على مبدأ أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر .. ضد المتهمة بنت السيد البقلي.. من خرجت سافرة الوجه وحاسرة الرأس.. وتزيت بالزى الإفرنجى الفاضح.. ومضت متبرجة مع سارى عسكر ابليون وعساكره الكفرة.. لعنات الله عليهم أجمعين..

(صائحين) آمين..

الأتراك: (مكملاً) مما يعنى أن المتهمة خرجت عن أصل الملة

القاضى: والدين.. ويستوجب تهمتها بالكفر وبالردة عن دين الإسلام..

الأتراك: فاجرة كافرة عاهرة ملعونة..

رتيبة: (مستغيثة) بنتى مظلومة يا خلق.. بنتى ستضيع بلا ذنب..

البقلى : (محذراً بهمس) قلت لك غضى من صوتك.. صوت المرأة عورة يا امرأة السوء..

رتيبة : أولا أفعل شيئاً لأدافع عن بنتى يا ناس..؟

البقلى : هى بنتى أيضًا.. لكن علينا أن نرضخ لنظام المحكمة الآن..

رتيبة : هذا والله حرام.. أو لا يوجد فى مصر المحروسة أجمعها إلا بنتى المسكينة لتحاكم من دون الناس..

القاضى : مهلا يا حرمة.. حين يحين سؤالك سنصرح لك لتقولى ما شئت دفاعاًعن ابنتك المتعوسة من وقعت فى المنكر والكفر والآن.. هاتوا المتهمة يا حراس القلعة..

(الحراس يدخلون بزوبة التى يغطونها بعباءة سوداء من رأسها حتى أخمص قدمها)

رتيبة : (باكية) آه يا ابنتنا المسكينة. .قل شيئًا لتدافع عن بنتك.. افعل شيئاً بالله عليك..

البقلى : (متأثراً من بكاء زوجته) عفواً يا مولانا القاضى.. (يتجه إلى الوالى) يا مولانا الوالى..

القاضى : (معترضاً) فيما بعد يا سيد بقلى..

الوالى : دع سيد بقلى يتكلم يا قاضى..

البقلى : يا مولانا الباشا.. إنى أطمع .. فى عفوك ورضاك..

بنتى المسكينة مازالت طفلة .. لاشك جنابك يذكرها..
من حدثتك عنها وسألتك ماذا أفعل يوم خروج جنابك
ودخول الحملة..

الـــوالـــى: أذكرها يا سيد بقلى.. من كنت عرضت عليك حمايتها
بزواجى منها عند رحيلى لكنك فضلت بقاءك فى ظل
الغزو الكافر كى يحدث معها أو منها ما قد كان..

البـــقلى: يا باشا.. بنتى مازالت طفلة..

الـــوالـــى: بنتك يا سيد بقلى طفلة..؟

(الوالى يشير إلى الحراس فيكشفون عنها العباءة لتظهر
فى الملابس العصرية وكأنها ملكة جمال الكون)

ماشاء الله.. أنثى ناضجة كالثمرة وتقول لها طفلة..

البـــقلى: قسماً بالله تعالى هى طفلة.. لم تبلغ سن الرشد.. ستة
عشر ربيعاً لا أكثر..

الـــوالـــى: عذر أقبح من ذنب يا سيد بقلى.. لاشك أنك أدرى أن
الفتيات لديكم ينضجن من العاشرة ويتزوجن من
الاثنى عشر وينجبن من الرابعة عشر.. أكمل يا قاضى
محاكمة الأنثى الناضجة وذات الستة عشر..

القـــاضى: أمرك يا باشا.. أنت يا ذات الستة عشر.. ما اسمك..؟

(زوبة تقف شاردة)

ما اسمك يا بنت..؟

البقلى: زوبة يا جناب القاضى.. بنتى زوبة..

القاضى: من فضلك يا سيد بقلي.. دع بنتك تتكلم لا أنت.. ما اسمك يا بنت..؟

زوبة: اسمى زوبة المصرية..

البقلى: (مستدركاً) هى تعنى زوبة البقلية.. زوبة البقلى يا مولانا القاضى..

القاضى: صمتاً يا سيد بقلى من فضلك.. (لزوبة) ماذا تعنين بلقب المصرية هذا.. هل هذا لقب آخر لأبيك..؟

زوبة: بل هذا نسبى للوطن المفقود.. وطن لم أعرفه إلا حين تعلمت التاريخ.. وقرأت كتاباً عنه.. (تخرج الكتاب من بين طياتها)

القاضى: الآن تذكرت.. هذا اسم أطلقه عليك السارى عسكر نابليون..

زوبة: هذا حق.. لم أعرف أنى أنتسب لوطن يدعى مصر وأنى مصرية.. إلا حين سمعت السارى عسكر نابليون يناديني به.. منذ وعيت وكان يقال علينا نحن المصريين بأنا فلاحون وحرافيش وجعيدية وعوام ودهماء.. وعلي أفضل حال كان يقال رعية ورعايا

السلطان.. يرعانا الراعى التركى وكأنا قطعان من أغنام أو أبقار ..

القاضى: ليست تلك قضيتنا الآن يا ابنة سيد بقلى..

زوبة: بل تلك قضيتنا ومصيبتنا فى هذا الوطن المنكوب المدعو مصر..

القاضى: كونى فى حالك أنت الآن.. ما عمرك..؟

زوبة: عمرى من عمر الوطن المنكوب.. (وهى تقرأ من الكتاب) من عمر إيزيس ونفرتيتى وحتشبسوت وكليو باترا..

القاضى: ماذا.. ماذا.. لا أفهم ما تعنين بتلك الأسماء العجمية.. أفهمتم شيئاً من هذا يا حضرات..؟ (لغط بين الجميع)

رتيبة: (منزعجة) يا لهوى.. البنت تخطرف.. البنت تلبسها الجان وركبتها الأسياد.. ألطف يا رب.. دستور يا أسياد..

البقلى: صبرًا يا رتيبة.. لا حول ولا قوة إلا بالله..

الوالى: أى كتاب هذا يا قاضى.. دعنى لأراه..

القاضى: (يأخذ الكتاب من زوبة ويعطيه للوالى) هو ذا يا باشا..

الوالى: (وهو يتصفح الكتاب مستنكراً) أعوذ بالله من غضب الله.. هذى صور المساخيط الفراعين.. أصنام وأوثان

الكفرة.. فليحرق في النار..

(يقذف بالكتاب بعيداً)

الأتـــــراك: (صائحين) فليحرق في النار..

زويـــــــة: (وهي تلتقط الكتاب وتضمه إلى صدرها) هذا ليس بكفر يا همج الترك.. تلك حضارة وطني المنكوب بكم.. بجهالتكم وتخلفكم..

البــــقلي: (محذراً) أيتها المجنونة.. كفي عن شتم ولاة الأمر.. (للوالي معتذراً) عفواً يا باشا.. سامحها أرجوك.. هي مازالت طفلة..

الــــوالــــي: حسن يا سيد بقلي.. أكمل يا قاضي محاكمة الطفلة..

القــــاضي: زوبة يا ابنة سيد بقلي.. أو تعترفين بخروجك دون حجاب ونقاب في زمن الحملة سافرة الوجه وحاسرة الرأس بزي الإفرنج الفاضح متبرجة في الأسواق وفي الطرقات أمام الناس..

زويـــــــة: ماذا في هذا يا قاضي.. نصف نساء مدينتنا خرجن دون حجاب ونقاب ولبسن الزي الإفرنجي ومارسن حريتهن الشخصية ولأول مرة منذ قرون..

القــــاضي: كل النسوة عدن لحرملكهن وتحجبن وتنقبن وتبن وحرقن ملابسهن المتبرجة الإفرنجية.. فهل أنت

تتوبين وتؤبين كما هن فعلن..

زويـــــــة: أنا لم أذنب بعد ليطلب منى التـوبة.. فـخـروج المرأة والأزياء أمـور شـخـصـية.. لا دخل لأحد فيـهـا مـهـمـا كان..

القـــاضى: من حق ولى الأمر محـاسبتك ومحـاكمتك عن هذا المنكر..

زويـــــــة: لا حق لأحـد فى ذلك.. وخـصـوصـًا أنتم يا حكام الترك.. قد أقبل ذلك من قومى إن شئت.. أما أنتم فى أحسن حال لستم غير غزاة مغتصبين تماماً كالإفرنج.. مع أن الفارق بينكما فرق شاسع.. هم يحترمون المرأة والحب.. أما أنتم فجعلتم منها السوأة والعورة والجارية وناقصة الملة والعقل..

الأتــــراك: (غاضبين) فاجرة كافرة عاهرة ملعونة..

القـــاضى: حـسن.. مـاذا كـان هنالك بينك والسـارى عـسكر نابليون..؟

زويـــــــة: (بشجاعة) هى قصة حب..

الأتــــراك: فاجرة كافرة عاهرة ملعونة..

البـــقلى: أيتـها المجنونة .. تعترفين على نفسك.. تلقين بيدك إلى التهلكة بكل جنون لعنات الله عليك.

زويـــــــة: مـعذرة يا أبتاه.. لا أملك أن أكذب.. أنا حـقًا أحببت الساری عسكر نابليون.. فارس أحلام الفتيات بهذا العصر.. من سار يذكر معاركه الركبان.. وانطلقت سمعته فى كل مكان..

القـــاضـى: أتباهين بمعرفتك بالسارى عسكر يا زوية..؟

زويـــــــة: ماذا كان بمقدور فتاة متواضعة مثلى تفعل حين تقابل بطلاً يخشاه العالم أجمع.. يجثو بين يديها يتأملها يعشقها ويبث إليها الوجد ويدهشها بالحب ويبهرها بالمجد.. ويحدثها عن كلمات ما كانت تعرف عنها شيئاً قط.. كلمات ساحرة مدهشة كالوطن وكالحرية والعدل، وحق المرأة والحب.. أشياء تلهب وجدان الإنسان تغذى الروح تحرك فيه المهجة والعقل.. ماذا كان بمقدور فتاة مثلى تجهل ماذا يحدث فى العالم خارج سجن حر ملك دار أبيها.. فإذا فارس أحلام صباها يحطم هذا السجن ويخطفها ليطير بها نحو الأفق الممتد بعيداً نحو الشمس المتوهجة بأطياف الحرية والحب..

القـــاضـى: وإذن يا زوية تعترفين بهذا الجرم..؟

زويـــــــة: إن كنتم تعتبرون الحب جريمة.. فأنا لا أنكر أنى أجرمت..

القاضى: حسن جداً.. ماذا كان نتيجة هذا الحب الآثم بينك والسارى عسكر..

زوية: حاشا لله .. ما كان بحب آثم.. بل أطهر حب..

رتيبة: (متوسلة) يا مولانا القاضى.. ابنتنا مازالت طفلة.. حتى إن كانت قد وقعت فى خطأ الحب.. فلنعذر صغر السن..

القاضى: ولماذا قصرتم فى إرشاد ابنتكم حتى لا ترتكب المنكر فى هذا العمر؟

البقلى: والله يا مولانا القاضى كم أرشدناها ونصحناها وفعلنا معها أكثر مما يجب علينا .. مرات وأنا أمنعها وأحذرها من هذا الحب الفاسق والعشق الآثم حتى لم يبق أمامى إلا أن أقتلها.. لكنى أجبن من أفعل ذلك.. ولهذا فأنا لا أملك إلا أن أتبرأ منها أمام عدالتكم وأمام الله وأستعوضه فيها.. ولا حول ولا قوة إلا بالله..

(يجهش بالبكاء شاعراً بالعجز)

القاضى: ما رأيك فيما قرره أبوك الآن بحقك يا زوية..؟

زوية: هو مثل جميع المصريين المغلوبين على أنفسهم ولديه العذر..

القاضى: أهلك والمصريون جميعاً يتهمونك أنك فرطت علانية

في الدين وفي الشرف وفي العرض.. فما رأيك في هذا القول..؟

زوبـــــة: كلا.. أتحدى من يثبت أني كنت أفرط في الدين أو الشرف أو العرض..؟

القـــاضي: وإذن نأتيك بمن يشهد بالحق.. ونشهده عليك..

(يشير إلى الحراس فيفتح باب القلعة ليدخل الريس خنشع يقود جوقة العميان) أشهود أنتم للنفي أم الإثبات يا ريس خنشع..؟

خـــنـــشـــع: نحن محاسيب الوالي الباشا يا مولانا القاضي.. جئنا كي نشهد معه في دعوى الحسبة عملا بمقولة وأطيعوا أولي الأمر..

القـــاضي: حسن جداً.. قل لي من فضلك.. هل تعرف زوبة بنت السيد بقلي..

خـــنـــشـــع: أهنالك من يجهلها أو يجهل سيرتها مع ساري عسكر لعنات الله عليه.. سيرتها مثل النار على العلم يا مولانا القاضي..

القـــاضي: هل يعرفها دراويشك أيضاً..؟

خـــنـــشـــع: طبعاً.. نحن جميعاً نعرفها.. بل نبصرها إن شئت..

القـــاضي: ماذا تعني كلمة نبصرها يا ريس خنشع.. أو لستم عمياناً..؟

خنشع: الأعمى هو من لا يبصر بالعينين يا مولانا.. أما نحن فنبصر ببصيرتنا والقلب .. أو ليس كذلك يا عميان..؟

العميان: هو ذلك يا ريس خنشع..

القاضى: وإذن ماذا شاهدتم ببصيرتكم ضد المتهمة بنت السيد بقلى..؟

خنشع: شاهدنا أكثر مما شاهده المبصر.. أو ليس كذلك يا عميان..؟

العميان: شاهدنا يا ريس خنشع..

القاضى: قل ما شاهدتم بالتفصيل..

خنشع: حاشًا لله.. هل نكشف ما لا يكشف أو نخدش ما لا يخدش.. هل نفضح مستوراً ونجرس محظوراً .. (ينادى) يا سيد بقلى.. أين السيد بقلى..؟

البقلى: (مكتئباً) أنا ذا يا ريس خنشع..

خنشع: أتريد بأن نكشف سترك أو نفضح أمرك.. إن كنت تريد فضائحك على الملأ فقل حتى نتكلم دون حرج..

البقلى: (مهزوماً) لا داعى يا ريس خنشع.. لا داعى أرجوك..

خنشع: أحسنت إذن يا سيد بقلى.. خل الطابق مستور .. ما رأيك يا مولانا القاضى..؟

القاضى: ليست تلك شهادة يا ريس خنشع.. لابد وأن تتحدث

عما حدث بهذا الحفل الماجن والفاسق فى دار السيد بقلى بالتفصيل..

البقلى: كلا أرجوك يا مولانا القاضى.. أنا معترف بخطيئة وجريرة بنتى.. لا داعى لفضائح أخرى أو نكشف عورات أكثر من هذا بالله عليك..

القاضى: يا سيد بقلى.. هم عميان وشهادتهم لن تجرحك بأية حال.. هيا يا ريس خنشع قل ما حدث بهذا الحفل..

خنشع: حقاً لم نشهد بالأعين ما حدث بهذا الحفل الماجن فى دار السيد بقلى.. لكن مسامعنا والحق أقول.. سمعت أكثر مما نبصر.. سمعت رقصًا ومجوناً بين جوارى السيد بقلى وزوجته وابنته مع السارى عسكر وعساكره وكأنا فى حفل من حفلات التيفولى المنصوبة للترفيه عن الحملة.. لكن والحق نقول كذلك أن السيد بقلى لم يعجبه الرقص الماجن حتى صرخ وكاد يموت من الإغماء..

القاضى: أو هذا ما حدث بهذا الحفل الماجن فى دارك يا سيد بقلى.. تجمع بين رجال ونساء فى رقص فاحش كالإفرنج الكفرة..؟

البقلى: ما كنت لأقصد شيئا من هذا يا مولانا القاضى.. قد كنت المغلوب على أمرى والريس خنشع يشهد بالأمر..

خنشع: إنى أشهد أن السيد بقلى كان بحق حسن النية حين أقام الحفل ولكن من يضمن حسن النية عند الباقين.. أو ليس كذلك يا زوجة سيد بقلى..؟

رتيبة: لم يحدث شيء يا ريس خنشع مما تتصور. . قد كنا في حفل الزار وحفل الذكر .. وهذا شيء معروف مألوف فى دور العامة والأعيان..

القاضى: أو معروف مألوف رقصك أنت وابنتك أمام رجال السارى عسكر يا امرأة السيد بقلى..؟ أو مقبول هذا الرقص..؟

رتيبة: هذا هو أمر الأسياد يا مولانا القاضى.. ليس بمقدورى أو مقدور امرأة منا أن ترفض طلب الأسياد.. أو ليس كذلك يا زوبة.. قولى ماذا فعل الأسياد بنا حين أراد أبوك ليبعدنا عن حفل الزار.. (تتشنج) دستور يا أسياد.. دستور يا أسياد..

(تزداد تشنجاً ورقصاً هستريا)

عفو وسماح يا أسياد.. عفو وسماح بالله عليكم..

خنشع: هذا حق يا مولانا القاضى.. ركب الأسياد النسوة وسمعناهن يصحن ويقفزن ويصرخن ويرقصن كما تفعل زوجة سيد بقلى الآن..

رتيــــبــــة: (تزداد تشنجاً وهستيرية) دستور يا أسياد..

القـــاضـى: لا بأس .. هدئ من روع أمرأتك يا سيد بقلى..

(السيد البقلى يأخذ رتيبة جانباً ليهدئها)

والآن يا ابنة سيد بقلى.. هل كان الأسياد وراء خطيئتك وسبب الحب الملعون وهذا الرقص الماجن والمجنون كما قالت أمك..؟

زويـــــــة: كــلا.. أنا لم أخطئ وكــذلك لم يتــدخل فى أمــرى الأسياد.. أعترف بأنى رقصت وغنيت وأحببت لأنى استــشـعـرت الحــرية تملأنـى تنعش روحى وكـيـانى تبهـجنى.. ليس لأسياد تركبنى أو أرواح تلبسنى.. كلا لا أعترف بشىء من هذا الوهم..

الـــوالـــى: أو يعنى هذا أنكارك لوجود الأسياد..؟

البـــقلى: (منزعـجـاً) كـلا يا مـولانا الوالى.. بنتى لاتنكر هذا.. حاشا لله.. هيا يا ابنتنا واعترفى بالصدق.. إنقاذ حياتك رهن أن تعترفى بوجود الأسياد ومس الجن..

زويـــــــة: معذرة يا أبت.. ما عدت الآن لأومن بالأسياد.. فـهذا مــرض جـاء مع الجـهل وقـهـر المرأة وأنا منه الآن برئت..

الـــوالـــى: أسمعت ابنتك الزنديقة يا سيد بقلى.. أسمعت..؟

البـــــقلى: أيتها المجنونة.. ستضيع الفرصة منك.. .. اعترفى أنك أحببت السارى عسكر وتبرجت بتأثير وأمر الأسياد.. اعترفى بالله عليك..

زوبـــــــة: كلا يا أبت .. عيناى تفتحتا واستيقظت.. ما عاد بمقدورى العودة ثانية لأنام على الوهم أو الجهل كما كنت..

الــــوالــــى: ما أنت تقولين سوى الردة والكفر.. احكم يا قاضى.. نفذ حكم الشرع..

القـــاضى: وإذن أنت أضفت إلى تهمتك السابقة مع السارى عسكر تهمة إنكار الأسياد وهذا كفر وخروج عن أصل الملة والشرع.. وعليه يكون هنالك حدان عليك.. حد الجلد وحد القتل.. ولكى لانظلمك سنعطيك الفرصة لتعودى للحق وتعترفين أمام المحكمة بأن الأسياد وراء خطيئتك مع السارى عسكر.. وبذلك يمكن للمحكمة بأن تكتفى بحد الجلد.. فهل ستتوبين وتعترفين بأنك أخطأت بإيعاز وبسبب الأسياد كما قالت أمك من قبل..؟

رتيــــبـــة: (وهى تشجعها) اعترفى يا ابنتنا واحتملى الجلد..

زويـــــــة: لا يا أماه..

البــــــقلى: أيتها المجنونة.. أتريدين الموت..؟

زويـــــــة: إن كان هناك خيار فسأختار الموت.. فأنا لا أحتمل الجلد.. لا أتصور يا أبت .. أن يجلد جسدى وكأنى حيوان أعجم يجلده صاحبه ولا يمتلك عليه الرد.. وأفضل أن تزهق روحى لا أن يمسس أحد جسدى البكر.. فأنا ما فرطت بجسدى مع من أحببت.. فهل أتركه لكى يمسسه أحد ممن أكره بالضرب وبالجلد.. هذا جرم فى حرمة جسدى لن أقبله قط.. ولذلك فأنا لا أطلب منكم إلا الموت.. أطلبه وبشوق.. ليس لأنى أكره أن أحيا أو أستمتع بحياتى مثل الفتيات العذراوات بسنى فى عمر الزهر.. بل ذلك أنى حين استيقظت فقدت الحلم الوردى وخفت أعيش بلا حلم.. آه يا أبت.. أعترف الآن بعجزى أن أحيا فى عالمكم هذا وأفضل فيه الموت.. ولأنى أعجز أن أقتل نفسى بيدى... فدعونى لأموت بأيديهم ليس بأيديكم أو بيدى.. فأبرئكم وأبرئ قومى وأبرئ نفسى من شبهة إهدار دمى.. (لغط بين الجميع)

القـــــاضى: (وهو يدق بالمطرقة) وإذن قد حق عليك القتل.. بكسر الرقبة وبقطع الرأس(*).. (يتقدم حارسان يقبضان على

(*) فقالوا لأبيها ما تقول أنت؟ فقال: أقول أنى برىء منها. فكسروا رقبتها. تاريخ الجبرتى.

زوبة بينما يتجه نحوها السياف رافعًا سيفًا كالمقصلة استعدادًا ليجز رأسها بين صراخ أمها وتهليل وتكبير المتطرفين)

*****

ستار

المولف :

* محمد أبو العلا السلاموني.
* مواليد دمياط ٣/١/١٩٤١ مصر.
* ليسانس آداب القاهرة سنة ١٩٦٨.
* مدير عام المسرح بالهيئة العامة لقصور الثقافة.
* عضو اللجنة الدائمة للمسرح بالمجلس الأعلى للثقافة.
* حصل على جائزة الدولة فى الآداب عن النص المسرحى سنة ١٩٨٤.
* حصل على وسام الدولة فى العلوم والفنون من الطبقة الأولى سنة ١٩٨٦.
* حصل على جائزة أحسن نص مسرحى من معرض الكتاب الدولى بالقاهرة سنة ١٩٩٢.
* حصل على جائزة أحسن نص مسرحى بالفصحى من منظمة الأليسكو فى مهرجان قرطاج الدولى سنة ١٩٩٥.
* حصل على الميدالية الذهبية لأحسن سيناريو فى الدراما التليفزيونية من مهرجان القاهرة الدولى للإذاعة والتليفزيون سنة ١٩٩٧.
* مثلت مسرحيته (مآذن المحروسة) المسرح المصرى فى مهرجان القاهرة الأول للإبداع العربى سنة ١٩٨٤ إخراج سعد أردش.
* مثلت مسرحيته (الثأر ورحلة العذاب) المسرح المصرى فى مهرجان جرش بالأردن سنة ١٩٨٦ إخراج عبد الرحيم الزرقانى.

* مثلت مسرحيته (رجل فى القلعة - الصعود للقلعة) المسرح المصرى فى مهرجان ربيع المسرح بالمغرب ١٩٩٤ إخراج ناصر عبدالمنعم.
* مثلت مسرحيته (ديوان البقر) المسرح المصرى فى مهرجان قرطاج الدولى بتونس سنة ١٩٩٥ من إخراج كرم مطاوع.
* كتب للمسرح الخاص الكوميديا الاستعراضية (المليم بأربعة)و(باحبك يا مجرم) سنة ١٩٩٠ من إخراج جلال الشرقاوى.
* كتب للدراما التليفزيونية مسلسلات منها: (البحيرات المرة - الحب فى عصر الجفاف - صفقات ممنوعة - رسالة خطرة - أحلام مسروقة - قصة مدينة - حكاية بلا بداية ولا نهاية - اللص والكلاب - كاميليا والملك - نسر الشرق).
* له أكثر من عشرين مسرحية عرضت على جميع مسارح مصر (القومى - الحديث - البالون - الطليعة - الكوميدى - السامر - الهناجر - مسارح الأقاليم).
* أصدرت له الهيئة العامة للكتاب مجلدين يضمان أعماله الكاملة من المسرحيات التى سبق نشرها أو عرضها خلال ثلاثين عاما.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ٥٨٠١ /٢٠٠٢

I . S . B . N 977 - 01 - 7784 - 9



موضوع هذه المسرحية وردت حكايتها فى تاريخ الجبرتى، وهى من أحداث القاهرة أثناء وفى أعقاب الحملة الفرنسية على مصر وما أحدثته من صدمة حضارية.

ولعل هذه المسرحية أن تكون قصة حب أو حكاية دهشة وانبهار، ومأساة الفوارق الثقافية والهوة الواسعة بين تقاليد عالمين. وربما كان الجبرتى قد روى القصة من زاوية نظر واحدة ولكن هذه المسرحية أحاطت بالقصة وظروفها من كل الجوانب لتكشف لنا مساحة أوسع من المجال الذى اهتم به الجبرتى وتحدد أبعاد المأساة الحضارية والإنسانية للحكاية الفردية التى أثارت الخواطر فى زمانها. إنها مأساة الحب وال... وتراجيديا القطيعة بين الشرق والغرب، وال... المفجعة للصدام المرتقب بين الحضارات ما لم تت... القطيعة والصدام إلى حوار ووئام.

٣٥٠ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

تصميم الغلاف : صبرى عبد الواحد

جرافيك :